# الادعاءات الايرانية فى الخليج العربى

## أصول المشكلة وتطورها التاريخى *

للدكتور جمال زكريا قاسم
أستاذ مساعد بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس

أثار احتلال إيران لجزر الخليج الثلاث وهى جزيرة بوموسى وطنب الكبرى والصغرى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ رد فعل عنيف لدى الرأى العام العربى ، ظهر ذلك واضحا فى المظاهرات الكثيرة التى اجتاحت منطقة الخليج، وهاجم فيها المتظاهرون بعض المؤسسات الإيرانية . وفى الدول العربية تفاوتت أصداء الاحتجاج لعل أشدها كان قرار مجلس الثورة الليبى بتأميم المصالح البريطانية البترولية فى ليبيا ، ثم قرار الحكومة العراقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إنجلترا التى اعتبرت متواطئة مع إيران(١) .

كما أصدرت كثير من الحكومات العربية بيانات احتجاج طالبت فيها بانسحاب القوات الإيرانية من جزر الخليج الثلاث . ولما كان احتلال إيران لهذه الجزر

---

* قدمت هذه الدراسة إلى المؤتمر الدولى للتاريخ الذى انعقد فى بغداد فى الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ مارس ١٩٧٣ .

(١) أكد احتلال إيران لجزر الخليج الثلاث بما لايقبل الشك وجود تواطؤ بريطانى إيرانى . ويقرر كثير من المعلقين السياسيين أن بريطانيا بهذا التواطؤ لم تحترم التزاماتها إزاء إمارتى رأس الخيمة والشارقة ، التى تتبعهما هذه الجزر ، خاصة وأن المعاهدات البريطانية ، مع هاتين الإمارتين ، لم تكن قد ألغيت بعد من الناحية الرسمية . ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

Anthony, John Duke, The union of the Arab Amirates, Middle East Journal, summer 1972 pp. 271 ff.

حدث قبل يومين اثنين من إعلان قيام دولة إتحاد الإمارات العربية فى الخليج فقد أدى ذلك إلى اثارة مشاعر الحزن والاستياء التى كادت تطغى على الاحتفال بهذا المولود الجديد ، كما أدى أيضاً إلى إثارة مزيد من الشكوك فى حقيقة النوايا الإيرانية التى ظهرت فى السنوات الأخيرة وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٧٠ أقرب إلى الإقرار بوجهة النظر العربية والاعتراف بالأمر الواقع فيما يختص بعروبة البحرين التى تخلت إيران عن ادعاءاتها التقليدية فيها مما مهد لاستقلال هـذه الإمارة(١) ، حتى لقد ظهرت عـدة تـكهنات فى أن يكون تخلى إيران بهـذه الصورة المفاجئة عن ادعاءاتها القديمة ليس إلا مراوغة من جانبها للتخلص من المعوقات التى كانت تضعها حكومة البحرين وغيرها من إمارات الخليج بالنسبة لتعاملها مع إيران ، وبالتالى تستطيع بطريقة ( مشروعة ) أن تزيد من تعميق نفوذها الاقتصادى حتى تحين لها فرصة جديدة لمواصـلة أطماعها فى المنطقة تعاونها

---

(١) ليس من شك فى أن إصرار شعب البحرين كان العامل الأول الذى أدى إلى هذه النتيجة ولـكن يمكن أن نضيف إلى ذلك الضغط الذى مارسته الولايات المتحدة الأمريكية على الحـكومة الإيرانية لتفسح المجال لخططاتها المستقبلة والتى من أبرزها اتخاذ البحرين كقاعدة بحرية للأسطول الأمريكى فى منطقة الخليج، وتأكيداً لذلك وقعت بين البحرين والولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٣ ديسمبر ١٩٧١ اتفاقية نصت على تسليم قاعدة الجفير البحرية إلى الأسطول الأمريكى لمدة ثلاثين عاماً، يضاف إلى ذلك التغلغل الاقتصادى الأمريكى الذى تشهده البحرين ــ وغيرها من إمارات الخليج ــ فى الوقت الحاضر بما فى ذلك تأسيس البنوك المالية بالإضافة إلى المصالح البترولية وغير البترولية .

راجع بصدد ذلك : المخططات الأنجلو أمريكية فى الخليج العربى ــ وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٢، وكذلك صلاح العقاد : معالم التغيير فى دول الخليج العربى ص ١٤٣ وما بعدها .

فى ذلك بعض المخططات الامبريالية وبصفة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية . وليس من شك فى أن الأمور متروكة هنا لمدى الدعم العربى ، بالإضافة إلى حيوية المواثيق والارتباطات الدولية فى تأمين البحرين وغيرها من احتمال تجدد الأطماع الايرانية مما يدفعنا إلى التأكيد هنا بأن حصول الإمارات العربية على استقلالها السياسى لا يعنى تخلصها من السيطرة الاستعمارية التى قد تظهر فى شكل تسلط إقتصادى أو استعمار جديد ، هذا بالاضافة إلى المحاولات الايرانية التى بقيت — ولا تزال — تؤكد وجودها فى بعض مناطق الخليج . ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن إيران ليست وحدها وإنما تساندها شركات النفط الانجليزية والأمريكية العاملة فى المنطقة . ولذا يتحتم على السياسة العربية أن تعالج التطلعات الإيرانية فى الخليج باعتبارها قضية عربية — فى الوقت الذى لا يصرفها ذلك عن المعركة المصيرية الكبرى — خاصة وأن إيران حاولت استغلال فرصة إنشغال القوى العربية بالصراع العربى الاسرائيلى بعد نكسة ١٩٦٧ فى إحراز مكاسب لها يساعدها على ذلك بعد المنطقة ، بالاضافة إلى الفراغ الذى كان متوقعاً حدوثه عند انسحاب القوات البريطانية من الخليج فى عام ١٩٧٠ فضلا عن التفكك الذى ظهر واضحاً فى الوحدات السياسية — قبل قيام دولة اتحاد الإمارات العربية — بالإضافة إلى الخلافات الإقليمية القائمة بين السعودية وأبو ظبى حول واحة البوريمى أو بين قطر وأبوظبى حول خور العديد وبين البحرين وقطر حول ملكية الزبارة .

ومما يستلفت النظر أن عمليات التسلل الإيرانى لا زالت قائمة فى كثير من مناطق الخليج كما أن هناك إذاعة إيرانية ناطقة باللغة العربية ـ وهى إذاعة الأهواز ـ مخصصة لمنطقة الخليج، كما تقوم البنوك الإيرانية ومن أشهرها بنك ملى إيران وبنك الصادرات الإيرانى بنشاطات ملحوظة فى تمويل التجار الإيرانيين بصورة تمكنهم من منافسة التجار العرب ، وإلى عهد قريب كان النشاط الإيرانى مركزا على منطقة الساحل العمانى بما

فى ذلك من تفاعل ثقافى واقتصادى، بالإضافة إلى تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية التى كانت تفتقر إليها هذه المنطقة ، كما استقر كثير من الإيرانيين فى دبى آملين الوصول إلى مستوى أفضل من العيش من ذلك الذى يتمتعون به فى بلادهم كما أخذوا يحلون محل العرب الذين بدأت هجراتهم الواضحة إلى حقول النفط فى الكويت والسعودية وغيرها . كما ظهرت فى الكويت والبحرين جاليات إيرانية كبيرة العدد لها وزنها الاقتصادى (١) . ومما يذكر أن ايران كانت إلى عهد قريب تعامل الوطنيين فى كثير من إمارات الخليج باعتبارهم رعايا تابعين لها وذلك بارغام الراغبين فى الذهاب إلى العتبات الشيعية المقدسة فى إيران على حمل وثائق سفر إيرانية من القنصلية الإيرانية فى البصرة حيث لم يكن لإيران تمثيل سياسى أو قنصلى فى الخليج . كما كانت السلطات الإيرانية إلى عهد قريب أيضاً لا تعترف بطوابع البريد الصادرة فى البحرين وتعتبر الطوابع البحرانية اللاصقة على الرسائل الصادرة من البحرين إلى إيران كأنها لم تكن ، وإن كان يلاحظ أن الحكومة الإيرانية أخذت موقفاً أقل تشددا مع إمارات الخليج الأخرى خاصة إمارات الساحل العمانى التى وضح أنها كانت تسعى إلى صداقة حكامها(٢) وفى الوقت الذى زحف فيه تيار القومية العربية على الخليج العربى ، نتيجة للانقلاب العنيف الذى ترتب على استغلال النفط ، وما تبعه من تدفق العمال العرب على المنطقة ، بالاضافة إلى ماترتب على النكبة الفلسطينية فى عام ١٩٤٨ من تدفق آلاف من اللاجئين الفلسطينيين بدت الأطماع الإيرانية فى تمسك إيران بتسمية الخليج بالفارسى على أمل أن إصرارها على هذه التسمية يكسبها حقوقاً شرعية فضلا عن أن ذلك يرضى أحلامها التوسعية بأن

---

(١) Hay, Rupert : The Persian gulf States p. 122 Washington, 1959.

(٢) Ibid, p. 149.

يصبح الخليج بحيرة وسط امبراطورية فارسية . ومن الطبيعي أن ذلك كان دافعاً إلى إثارة المشاعر العربية وبالتالي تأكيد الدوائر العربية - الرسمية وغير الرسمية - على عروبة الخليج . كما أن الباحثين العرب وبعضاً من الباحثين الأجانب أخذوا يتخلون عن التسمية الفارسية للخليج، من ذلك الباحث الإنجليزي رودريك أوين Owen الذى تحدث طويلا عن غرابة تسمية الخليج بالخليج الفارسي مؤكدا أنه من المستحيل أن يفكر قادم على الكويت أو قطر أو البحرين في ممان غير عربية وأن كل شيء في رمال هذه الأقاليم وفي مياه خليجها الخضراء، فضلا عن القومية العربية النامية ، كل ذلك يؤكد تماماً عروبة هذه المنطقة ، كذلك أكد الكاتب الفرنسي جان جاك بيريبي على عروبة الخليج وإن سمى كتابه الذى صدر في عام ١٩٥٩ بالخليج الفارسي اتباعاً للتسمية التي كانت شائعة عند صدور كتابه هذا (١) .

## الادعاءات الإيرانية القديمة في الخليج :

ويسترعي الدارس لمنطقة الخليج العربي قدم الادعاءات الإيرانية كما يجد أيضاً العديد من الاعتداءات الايرانية التي تعرضت لها المنطقة في الماضي أو الحاضر .

وعلى الرغم من أن الغموض يكتنف تاريخ الخليج العربي في العصور القديمة إلا أنه

---

(١) CF. Roderickowen, The golden Buble, Arabian gulf Documentary pp. 13—16 London 1961 see. Also Jan Jack Bereby, Le golfe Persique, Paris 1959
وكذلك سيد نوفل : الأوضاع السياسية في إمارات الخليج وجنوب الجزيرة العربية ص ص ١١٦-١١٧ .

من المعروف أن الفرس نجحوا فى بعض الفترات خاصة فى القرن السادس ق . م فى السيطرة على بعض القواعـــد الرئيسية الواقعة على الساحل الغربى للخليج فى عمان والبحرين، ومع ذلك فان السيطرة الفارسية لم تستمر بصورة مباشرة إذ كانت تترك فى أحيان كثير القبائل المحلية أو الحكام المحليين فضلا عن أن القبائل العربية استطاعت فى كثير من فترات التاريخ القديم أن تظهر إلى مجال السيادة والتفوق فى الشواطىء الغربية بل والسواحل الشرقية التى تطل عليها ايران ذاتها . وتحدثنا بعض الروايات بصدد ذلك عن هجرة كبيرة قامت من الجزيرة العربية ومن اليمن على وجه التحديد تزعمها مالك بن فهم وهو أحد رؤساء الأزد (عرب الجنوب) متجهة إلى عمان حيث دار صراع بين العرب والفرس انتهى بانتصار العرب وطرد الفرس من عمان (١) أما من بقى منهم فقد تعايش سلمياً مع الهجرات العربية التى أخذت تتدفق على المنطقة واستمر أمرهم قائماً حتى اجبروا على الرحيل نهائياً فى البواكير الأولى من صدر الإسلام . وقد أعقب ذلك الانتصار الذى أحرزه العرب هجرة اليمنيين بشكل كبير إلى عمان ويقال أنها هى التسمية التى سموا بها ذلك الأقليم نسبة إلى أن منازلهم كانت على واد بمأرب يقال له عمان فشبهوها به فى حين كان الفرس يطلقون عليها مزونا .(٢)

ويختلف المؤرخون على تحديد هجرة مالك بن فهم الذى نجح فى أن يكون أول حاكم عربى على عمان بعضهم ذكر أنها كانت فى القرن السابع ق . م بينما يرى البعض

---

(١) Perceval, Essai sur L'Histoire des Arabes vol. 1 p. 202.

(٢) حميد الدين السالمى . تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ ١ ص ٥ انظر أيضاً كشف الغمة لأحد علماء الاباضية ص ٣٢ .

الآخر أنها كانت فى القرن الرابع قبل الميلاد . حقيقة أن العرب كانوا قد وصلوا إلى عمان قبل هذه الهجرة الكبيرة ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا البلاد الملامح والسمات التى يحملونها، وإنما ظل الفرس يعتبرون عمان جزءاً من إمبراطوريتهم إلى أن كان دخول مالك بن فهم بمن معه وبمن أتى بعده من العرب فاستطاعوا أن يقضوا على كل أثر فارسى وإعطاء البلاد صبغتها وملامحها العربية . وتذكر وثائق بومباى بصدد ذلك أن مالك بن فهم هو أول عربى دخل عمان قبل الميلاد بأربعة قرون(١) وقد نزل مع قومه فى بهلى ثم فى جعلان من مدن عمان الداخلية ، وهناك استطاع التغلب على الجيش الفارسى ثم قام بتحصين الرستاق ، وقد أثارت انتصاراته أحلام العرب فأخذوا يتوافدون على عمان من اليمن حتى أصبحوا غالبية السكان وتعاقب ملوك من نسله ولم يتمكن الفرس من استعادة سيطرتهم إلى أن صارت عمان إلى آل الجلندى ، فى زمن الأسرة الساسانية ، التى عقدت هدنة معهم نصت على أن يحتفظ الفرس بحامية لهم فى عمان قدرها أربعة آلاف جندى مع عامل فارسى فنزل هؤلاء الشواطىء وبقى آل الجلندى فى الداخل(٢) . ويتضح لدينا من ذلك أنه على الرغم من المد العربى الظاهر على سواحل الخليج والذى ازداد انسيابا منذ القرن الثانى ق . م نظراً للقحط الشديد الذى الم بالداخل إلا أن هذا المد العربى لم يلبث أن تراجع حينما قامت الأمبراطورية الساسانية حول السنوات الأولى من القرن الثالث

---

(١) Bombay government, selection from the Records of Bombay govt., 1856 CF. Extracts from Brief Notes containing Historical & other information connected with the province of oman, Muscat and adjoining countries. R.A. Taylor pp. 1 — 40.

(٢) الشباعى وناجى عساف : عمان . . تاريخ . . يتكلم ص ص ٩٥ / ٩٨ دمشق ١٩٦٣ .

الميلادى، وإن لم يلبث أن عاد إلى استئناف مجراه الطبيعى بعد انحلال الامبراطورية الساسانية .

أما عن جزر البحرين ـــ وهى المركز الرئيس الثانى على الساحل الغربى من الخليج ـ فيوجد اختلاف فى الرأى عن أصل المستوطنين الأول فيها . ويؤكد كثير من الكتاب الايرانيين أن السكان الأصليين فرس، ولكنهم بعد إقامة طويلة استطاعوا أن يستحوذوا على لهجة السكان الذين يقطنون السواحل القريبة منهم، فى حين تؤكد المصادر العربية القديمة أن سكان البحرين عرب ينحدرون أصلا من قبيلة ثمود العربية الذين طردهم سبأ بن حمير من اليمن فى حوالى الاف الثانية ق . م فاتجهوا إلى جزيرة أوال وهو الإسم القديم للبحرين(١) وما أوال إلا إسم لصنم كانت تعبده قبيلة بكر ابن وائل (٢) والجدير بالذكر أن الجغرافيين العرب كانوا يطلقون إسم البحرين على الشاطىء الممتد من كاظمة شمالا إلى عمان جنوباً . وذكر ياقوت الحموى بصدد ذلك أن البحرين إسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان (٣) . كما قرر القلقشندى أن عمان والبحرين كانتا مقاطعة واحدة فى عهد الدولة العباسية وأن عمان قاعدة البحرين بمفهومها الجغرافى الواسع (٤) .

## الخليج العربى فى العصر الإسلامى :

يتضح لدينا مما سبق عرضه أن السيادة الفارسية على الخليج العربى فى عصر ما قبل الإسلام كانت سيادة غير واضحة كما أنه لم يتحقق لها صفة الاستمرار فضلا عن

(١) السويدى : سبائك الذهب ص ٦ انظر أيضاً :
Bombay gevt, op; cit. pp. 27 _ 29.
(٢) محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربى ص ١٣ — ١٤ — ٢١ بغداد ١٩٦٣ .
(٣) ياقوت الحموى . معجم البلدان جـ ٢ ص ٧٢ / ٧٣ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ص ٥٤ / ٥٥ .

أن النموض يكتنفها فى نواح كثيرة ، ومن ناحية أخرى أن العرب والفرس تبادلوا السيادة على سواحل الخليج فى كثير من فترات التاريخ القديم ولكن الأمر الذى لاشك فيه أنه فى خلال العصر الإسلامى،الذى سنتفق على تحديده من القرن السابع الميلادى حتى أواخر القرن الخامس عشر، تحددت بشكل لا يمكن انكاره الشخصية العربية والإسلامية للخليج والحقيقة أن العرب استطاعوا منذ بداية العصر الإسلامى تأكيد الشخصية العربية للخليج ساعدهم على ذلك الهجرات العربية الكبيرة التى اندفعت من الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج الغربيـــة والشرقية هذا فضلا عن المعارك الحربية الكثيرة التى خاضها العرب ضد الفرس ويمكن أن نشير بصدد ذلك إلى معركة ذات السلاسل ( ٦٣٤م ) التى دارت قرب موقع الكويت الحالية فى منطقة كاظمة التى هى الآن من أعمال الكويت . وكانت هذه المعركة بين القائد الفارس هرمز والقائد العربى خالد بن الوليد ، وكان انتصار العرب فى هذه المعركة سبباً لاخضاعهم العراق وفتحهم لبلاد فارس . كما بنى العرب — بعد انتصارهم فى معركة القادسية — مواضع حربية فى سهول عربستان ، كل موضع يسمى خوز ولذلك أطلق الفرس على هذه المنطقة إسم خوزستان أى بلاد القلاع والحصون، وعلى الرغم من أن كثيراً من المصنفين العرب احتفظوا بالتسميه الفارسية للخليج أو كما كان يطلق عليه اسم خليج العجم فى كثير من المصنفات العربية فى العصر الإسلامى، فلا يعنى ذلك تأكيد الشخصية الفارسية أو الاعجمية للخليج بدليل أن كثيراً من أولئك المصنفين أنفسهم من أكد أنه ليس فى الخليج شىء فارسى إلا إسمه، وإنما من المرجح أن تكون التسمية الفارسية للخليج هى التسمية التى شاعت استمراراً للتسمية الإغريقية للخليج وترجع هذه التسمية إلى حملة الاسكندر الأكبر إلى الهند الذى كان له فضل الكشف الأول عن شواطىء الخليج ففى اثناء عودته من الهند وجه قائده البحرى نياركوس Nearchus إلى استطلاع شواطىء الخليج ( ٣٢٤ م ) فتم له اكتشاف

الساحل الشرقي ولو قدر لقواد الإسكندر اكتشاف سواحل الخليج الغربية قبل اكتشافهم لسواحله الشرقية لتغيرت التسمية بطبيعة الحال(١). ولكن لا يعنى هذا أن كل المصنفين العرب قد اقروا هـذه التسمية إذ أن المتتبع للمصنفات العربية الإسلامية يلاحظ وجود تسميات عربية للخليج من ذلك مـا ذكره ياقوت الحموى وغيره من أصحاب التأليف العربية الإسلامية عن خليج البصرة ومكانه خليج عمان .

وطيلة القرون السبعة التى سبق أن حددنا بها العصر الإسلامى، وهو العصر الذهبي للملاحة العربية فى الخليج العربى والمحيط الهندى والبحار الشرقية عموما ، ظل الخليج يستقبل افواجا لا تـكاد تنقطع من الهجرات القادمة إليه عن طريق البحر أو عـبر الصحراء وعلى الرغم مما ترتب على ذلك من وجود عناصر متعددة إلا أن العنصر العربى كان له التفوق دائما كما ظلت الثقافة ولغة التعامل والتجارة هى اللغة العربية(٢) وكان مما أعان على تفوق النفوذ العربى فى الخليج طيـلة العصر الاسلامى تركيز الملاحين العرب على الخليج واستخدامه طريقا للوساطة التجارية بين أوربا والشرق على خلاف الفرس الذين اقتصروا فى وساطتهم التجارية على طرق القوافل البرية عبر فارس وآسيا الصغرى باعتبارهم شعبا يسكن المناطق الداخلية (٣) .

استمر الخليج محتفظاً بسماته ومقوماته العربية طيلة العصر الاسلامى وهـو العصر الذى شهد تفوقا فى القوى الملاحية والتجارية العربية ليس فى الخليج العربى

---

(١) عبد الحميد زايد : الخليج العربى عـبر التاريخ القديم ، بحث منشور فى « جامعة الكويت والمجتمع » ص ١٢٧ وما بعدها ١٩٦٦ / ١٩٦٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم : المـلاحة العربية فى الخليج العـربى فى عصر التوسع الاستعمارى الأول ( دراسة تحت النشر )، انظر أيضا روبرت لاندن: عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا .

(٣) لوريمر : دليل الخليج ـ القسم التاريخى ج١ ص٣ .

فحسب وإنما فى بحار الشرق بصفة عامة(١) إلى أن أخذت هذه القوى تصاب بالتمزق العنيف الذى حدث نتيجة الزحف الاستعمارى على بحار الشرق والذى استهله البرتغاليون فى أعقاب نهضتهم الملاحية والاستكشافية الكبرى والتى ترتب عليها أحكام سيطرتهم على المنافذ العربية التى كانت تمر منها تجارة الشرق إلى أوربا فى البحر الأحمر والخليج العربى وبالإضافة إلى ذلك كان للاساوب الاحتكارى العنيف الذى طبقه البرتغاليون فى سيطرتهم على بحار الشرق وأساليبهم القاسية بما تضمنته من حرق السفن وإغراقها وتعذيب بحارتها أثر كبير فى حرمان القوى العربية والإسلامية من ازدهارها الملاحى السابق (٢) خاصة وأن السيطرة البرتغالية استمرت قائمة فى الخليج منذ بداية القرن السادس عشر الميلادى حتى منتصف القرن السابع عشر أى مايقرب من قرن ونصف قرن من الزمان . وقد ترتب على ضعف السيطرة البرتغالية إنكماش واضح فى موجة المد العربى (٣) فى الوقت الذى استفاد فيه الفرس من معاودة التطلع الى الخليج بحكم الصداقة والتحالف اللذان ربطا بينهم وبين البرتغاليين خاصة فى المراحل الأولى من عمليات التقدم البرتغالى ، ولكن الصداقة الفارسية البرتغالية لم تستمر طويلا وذلك بنجاح الانجليز فى مصادقة شاه فارس والوقيعة

---

(١) راجع فى ذلك فضلو حورانى، الملاحة العربية فى المحيط الهندى، وكذلك آدم متز : الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ٤٢٩ / ٤٤٣ .

(٢) زين الدين : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين ــ نشر دافيد لوپز ص ٤٥

David Lopes : Historia des Portugueses No Malabar Lispon 1898

(٣) انظر مقدمة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لكتاب الخليج العربى ١٨٤٠ ــ ١٩١٤ الدكتور جمال زكريا قاسم .

بينه وبين البرتغاليين ثم فى مساعدتهم له على طردهم من كثير من موانى الخليج وجزره ، ففى عام ١٦٢٤ حدث هجوم انجليزى فارسى مشترك على هرمز التى كانت واحدة من أهم وأقوى المعاقل البرتغالية عند المدخل الجنوبى للخليج (١) . ولم تبد سلطات شركة الهند الشرقية البريطانية فى سورات — والتى كانت مسئولة بحكم ارتباطها التجار بالخليج عن السياسة البريطانية فى المنطقة منذ بداية القرن السابع عشر الميلادى — أية معارضة للتغلغل الفارسى فى الخليج جنوبا وغربا،ويعنى ذلك أن السياسة البريطانية هى التى مكنت لفارس تأكيد سيطرتها على سواحل الخليج خلفا للسيطرة البرتغالية،وكان يدفعها الى ذلك دوافع كثيرة منهـا أنه لم تقم فى منطقة الخليج فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تنظيمات عربية قوية تستلفت نظر السياسة البريطانية وبالتالى تدفعها إلى الدخول فى علاقات سياسية واقتصادية معها بالإضافة إلى أن الوقت لم يكن قد حان بعد لكى تدخل بريطانيا فى علاقات سياسية أو استراتيجية مع المنطقة بصورة مباشرة إذ أن ذلك قد تأخر إلى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر،والأهم من ذلك أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت تمارس احتكارات اقتصادية فى فارس وخاصة فى مقاطعاتها الجنوبية (٢) وبالتالى كان الإنجليز حريصين على تأكيد السيادة الفارسية فى الخليج على اعتبار

---

(١) Foster, England's Quest in Eastern trade p. 79, London 1933

(٢) Cf. Saldanha, Esst India Companies Connexion with the Persian Gulf 1600-1800, selection From Bombay State papers, see Report on the Commerce of Arabia & Persia by Samuel Manisty & Harford Jones, 1790.

ماسيحققونه نتيجة لذلك من فوائد اقتصادية ، وبالفعل فإن الصداقة الفارسية الإنجليزية ساعدت الإنجليز إلى حد كبير على القضاء على منافسة الهولنديين الذين حاولوا أن يدلوا بدلوهم في المنافسات التجارية أو الاستعمارية التي احتدمت في الخليج ، والتي ظهرت واضحة منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي(١) .

وبينما اتجهت فارس — باعتمادها على المساعدة الإنجليزية — إلى إحلال سيادتها على أنقاض السيطرة البرتغالية في السواحل الشرقية للخليج ، ركز البرتغاليون عملياتهم العسكرية على السواحل الغربية ، كما اعتمدوا اعتماداً كبيراً على قلعتهم الحصينة في مسقط التي أنشأها البوكرك بعد احتلاله لمسقط في عام ١٥٠٧ .

ويستفاد من الروايات المتوافرة لدينا أن سقوط هرمز في أيدي الفرس في عام ١٦٢٤ كان له أثر كبير في إعلان عرب عمان استقلالهم عن مملكة هرمز حيث بايع العمانيون إماماً لهم من أسرة اليعاربة وهو الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٢٤ الذي كان عليه أن يتصدى للبرتغاليين الذين ركزوا سيطرتهم على سواحل عمان واعتمدوا على قلعتهم المنيعة في ميناء مسقط، ومن هنا كان تحرير مسقط هو الهدف الأساسي الذي اتجه إليه العمانيون . وقد بذل الإمام ناصر بن مرشد وخلفاؤه من بعده جهوداً ضخمة في بناء قوة بحرية كبيرة إدراكاً منهم أن الحرب بينهم وبين البرتغاليين هي حرب بحرية في الدرجة الأولى،وبعد مناوشات كثيرة قاموا بها تمكنوا في النهاية من تدبير هجوم كاسح على مسقط استسلم على أثره البرتغاليون ١٦٥٨ ورضخوا لعدة شروط من بينها هدم قلاعهم في مسقط وصور وقريات . والاعتراف بحرية التجارة لمختلف الأجناس في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وهكذا كان

---

(١) Wendel Philips Oman ... A History p. 91 London 1967.

وكذلك لوريمر : دليل الخليج ، القسم الثاني ج ١ ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .

القوى العربية دورها الهام فى كسر الاحتكار البرتغالى والمناداة بحرية البحار(١) . والأمر الذى لاشك فيه أن انهيار السيطرة البرتغالية فى الخليج كان له أثر كبير فى النشاط البحرى العربى الذى سنلاحظه بشكل واضح منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر .

وبينما كانت فارس تتطلع إلى وراثة النفوذ الاستعمارى البرتغالى فى الخليج ؛ تجد نفسها على العكس من ذلك تتعرض لمتاعب بالغة من قبل العمانيين إلى درجة دفعت بها للاستعانة بالقوى الاستعمارية الزاحفة على الخليج، بعد انحلال النفوذ البرتغالى، بهدف القضاء على الزعامة العربية على مياه الخليج ، وثمة مايؤكد لنا أن الحكومة الفارسية تقدمت فى السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر إلى كل من شركة الهند الشرقية البريطانية ، وشركة الهند الشرقية الهولندية طالبة معونتهما فى الهجوم على مسقط . ولم تتحمس شركة الهند الشرقية البريطانية فى ذلك الوقت للعرض الفارسى إذ لم يكن لديها الرغبة فى التدخل العسكرى أو السياسى فى شئون الخليج لما يتطلب منها ذلك من مواصلة إرسال الجنود أو السفن التى كانت أحوج ما تكون إليهما لتوطيد مركزها فى شبه القارة الهندية(٢) وإن كانت شركة الهند الشرقية البريطانية حريصة فى الوقت نفسه على أن تقف حائلا دون أن يستفيد الهولنديون من الموقف لما قد يؤدى إليه ذلك من تفوقهم على الانجليز فى فارس والخليج العربى .

وعندما لم تجد فارس استجابة لعروضها أرسل الشاه وفادة رسمية إلى ملك

---

(١) عن الصراع العمانى البرتغالى يمكن الرجوع إلى :

Miles, countries & tribes of the Peasiau Gulf vol 2, London, 1919.

.Bombay Govt, op. cit. p. 168 (٢)

فرنسا لويس الرابع عشر ، وقد أسفرت هذه الوفادة عن توقيع معاهدة تحالف وصداقة بين فرنسا وفارس في عام ١٧٠٨ ، وكانت هذه المعاهدة تنص في بعض موادها على أن يقوم الفرنسيون بإرسال أسطول إلى الخليج لمساعدة فارس على احتلال مسقط(١)، ولكن مما يستلفت النظر أن هذه المعاهدة ظلت دون تنفيذ ، ولذلك فإن كثيراً من المصادر الأوروبية تركز على الجهود الكبيرة التي بذلها شاه الفرس لكي يحث فرنسا على تنفيذ هذه المعاهدة ، من ذلك ما ذكره ماسون Masson في كتابه عن التجارة الفرنسية في الليفانت(٢) أنه في عام ١٧١٤ أرسل الشاه مبعوثاً خاصاً إلى الملك لويس الرابع عشر لكي يطلعه على مدى الصعوبات التي تتعرض لها فارس في الخليج ، وبالتالي لكي يقنعه بتجديد معاهدة ١٧٠٨ أو وضعها موضع التنفيذ ، ويضيف فلاسون Flasson في كتابه عن تاريخ الدبلوماسية الفرنسية ، بأن المباحثات الفارسية الفرنسية انتهت بموافقة الحكومة الفارسية على أن تمنح مسقط بجميع تحصيناتها إلى الحكومة الفرنسية نظير هذه المساعدة التي كانت تعلق عليها فارس أهمية كبيرة في القضاء على قوة عرب عمان ، وتفوقهم في الخليج العربي(٣) ؛ ولكن فيما يبدو لنا أن الحكومة الفرنسية لم تكن متحمسة لمحالفة فارس بل لعلها اتجهت اتجاهاً مضاداً استهدفت به تقوية مركزها في مسقط لكي

---

(١) Farroughy' Abbas, Bahrein Islands p. p. 65-66 New York.

(٢) Masson, Histoire dê Commerce Francaise dans le levant au 18 siecles. p. 525.

(٣) Flasson, Histoire de la Diplomatique Francaise Livre II Cf. Davrille, le golfe pérsique, route de L'Inde et de la chine (Extrait de la Revue de Question diplomatique et coloniales, Paris 1905).

تستغلها فى الصراع الذى كان ناشباً بينها وبين الانجليز(١) .

يتضح لدينا اذن أن فارس لم يكن بمقدورها أن تواجه السيادة العربية فى الخليج التى ظهرت منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر، ويكفى أن نشير بصدد ذلك إلى أن النشاط الملاحى العربى لم يقتصر على الخليج العربى فحسب وإنما وصل هـــذا النشــاط إلى سواحل شرق أفريقيا وسواحل الهند ذاتها(٢) . ومن ناحية أخرى أخذت فارس تتعرض لمرحلة من التدهور المنيف بسبب تفاقم مشكلاتها الداخلية التى أسفرت عن إشاعة الفوضى فى كثير من مقاطعاتها بل وتعرض بعضها لعمليات غزو مفاجئة، ففى عام ١٧٢٢ قامت الحرب الفارسية الأفغانية وتمكن الأفغانيون من احتلال مقاطعة أصفهان وارغموا الشاه الضعيف على التنازل عن عرشه(٣) . ومن ناحية أخرى انتهزت روسيا تلك الاضطرابات الداخلية والاخطار الخارجية التى تعرضت لها فارس فبادرت باحتلال بعض مقاطعاتها الشمالية، ولعل ذلك كان من أهم الأسباب التى دفعت بفارس إلى سحب قواتها من الخليج لــكى تواجه المشكلات الداخلية والخارجية التى المت بها .

وينبغى أن نركز هنا على أن انهيار السيطرة البرتغالية من الخليج أفسحت المجال للقوى العربية لــكى تؤكد لنفسها زعامة الخليج، فالمتتبع لتاريخ الخليج العربى فى القرن الثامن عشر يجد أن أهم ما يميز ذلك القرن عودة موجات المد العربى لاستئناف نشاطها نتيجة للظروف التى أشرنا إليها . وقد اندفعت موجات المد العربى من داخل الجزيرة العربية صوب سواحل الخليج، ولم تقتصر على مجرد كونها هجرات تقليدية

---

(١) عن العلاقات الإنجليزية الفرنسية بمسقط يمكن الرجوع إلى :
Auzoux, France et Mascate P. 67.

(٢) Guillain, op. cit. Tome II p. 518.

(٣) لوريمر : مصدر سبق ذكره ج ١ ص ١٣٠ .

وإنما اتخذت اتجاهاً جديداً وأعنى بذلك أن شعور العرب بسيادتهم البحرية وقوتهم الفعلية دفع بهم إلى إيجاد تشكيلات سياسية مستقرة على الساحل الغربى من الخليج، ففى خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر، وعلى وجه التحديد فى عام ١٧١٦ ظهرت تجمعات العتوب فى الكويت، ثم امتدت هذه التجمعات أو فروع منها بعد ذلك إلى كل من قطر والزبارة ١٧٦٦ والبحرين ١٧٨٣ (١). وفى السواحل الشمالية الشرقية من الخليج عند سهول عربستان ظهرت أحلاف قبلية من بنى كعب وبنى تميم وبنى طرف وغيرها مما حدا بفارس، تحت حكم الصفويين، أن تطلق على المناطق التى استقرت فيها هذه القبائل اسم عربستان ومعناها بلاد العرب وهذا اعتراف ضمنى من فارس بعروبة هذه المنطقة، بينما أطلق عليها العرب اسم الاحواز بمعنى الحيازة والتملك (٢)، وقد قويت الأحلاف العربية القبلية بصفة خاصة على أثر مقتل نادر شاه وما ترتب على ذلك من فوضى تعرضت لها الأقاليم الفارسية.

وفى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر تأسست لمارة المحمرة على يد شيخ من قبيلة بوكاسب، من بنى كعب الذى عد أسطولهم واحداً من الأحلاف القوية التى قامت فى الخليج إلى جانب قوة القواسم (٣) فى ساحل عمان، وتمكن بنو كعب وجيرانهم من

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذه التجمعات يمكن الرجوع إلى وثائق بومباى وكذلك الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه — تاريخ الكويت — القسم الأول من الجزء الأول — إصدار لجنة تاريخ الكويت.

(٢) على نعمة الحلو : الأحواز إمارة كعب العربية فى المحمرة بغداد ١٩٦٩.

(٣) تذكر بعض المصادر الفارسية نسبة القواسم إلى فارس، والحقيقة أن القواسم عرب خلص يرجعون بنسبهم إلى نجد ويعرفون ببنى ناصر أو بنى الغافرى، وكانت سيادتهم تمتد من رأس موساندوم إلى الشارقة فى الشمال. ولمزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى البحث الذى وضعه المستر واردن Warden فى وثائق حكومة بومباى عن قبيلة القواسم.

المتوب أن يكونوا سادة فى القسم الشمالى من الخليج كما كان القواسم واليعاربة ثم البوسعيديون سادة فى القسم الجنوبى، فأصبح الخليج منطقة نفوذ عربية، يضاف إلى ذلك أن القواسم لم يقتصروا على الساحل العمانى وإنما اندفعوا فى فترات مختلفة من القرن الثامن عشر إلى السواحل الشرقية للخليج ، وحكموا إلى جانب مسقط الكثير من جزر وموانى ومقاطعات هذه السواحل. وكان من حسن الطالع أن يشهد الرحالة الدينماركى كارستن نيبور Neibuhr – وهو واحد من طليعة الرواد الأوربيين الذين توغلوا فى الجزيرة العربية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر – هذه التجمعات العربية التى أشرنا إليها ، كما شهد بنفسه مدى النفوذ الذى وصل إليه عرب الخليج وسيادتهم على سواحله جميعها، مما دفع به إلى التأكيد بأن العرب هم الذين يمتلكون جميع السواحل؛ بما فى ذلك سواحله الشرقية، وأن ملوك فارس لم يتمكنوا من منازعة العرب هذه السيادة ، وأنهم متحملون على مضض بقاء السواحل الشرقية ملكا للعرب(١) .

## انهيار النشاط العربى فى الخليج والاحتلال الفارسى لمسقط :

وفى خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر كان النشاط الملاحى العربى موجها ضد السفن والتجارة الفارسية، كما نجح اليعاربة فى عمان فى السيطرة على بعض

---

(١) كارستن نيبور ، رحالة دانيماركى . كانت له رحلات فى الخليج العربى والجزيرة العربية ١٧٦٤/١٧٦٥، ويعد أول من فتح الجزيرة العربية لعمليات الارتياد الأوربى ، وقد ترك مؤلفين هامين هما وصف بلاد العرب طبع فى كوبنهاجن عام ١٧٧٢ ثم مختصر لهذا الكتاب باسم رحلة إلى بلاد العرب . وقد طبع فى عام ١٧٧٤ وتوجد ترجمة فرنسية للكتاب الأول باسم
Description de L'Arabie
وترجمة إنجليزية للكتاب الثانى باسم Travels through Arabia.

الجزر الواقعة على مقربة من بندر عباس، وليس من شك فى أن عرب عمان اغتنموا فرصة الاضطرابات الداخلية التى وقعت فى فارس ، بالإضافة إلى ما سبق أن أشرنا إليه من غزو أفغانى لبعض مقاطعاتها ليؤكدوا لأنفسهم السيطرة والنفوذ ولكن ذلك كان لفترة مؤقتة تغيرت فيها الأوضاع السياسية فى كل من فارس وعمان . ففارس استطاعت أن تتخلص من مشاكلها الداخلية والخارجية بظهور شخصية قيادية هامة فى التاريخ الفارسى وهى شخصية نادر شاه ١٧٢٧ – ١٧٤٧ فى الوقت الذى شاعت فيه الفوضى فى عمان نتيجة الثورات الداخلية والحروب الأهلية التى قامت بين المتنافسين حول منصب الإمامة مما سيتيح الفرصة لنادر شاه لتأكيد النفوذ الفارسى فى الخليج بل سيصل الأمر إلى أبعد من ذلك حينما ينجح فى السيطرة على مسقط ذاتها ، كذلك نجح نادر شاه فى السيطرة على جزر البحرين . ومما يذكر أن البحرين خضعت لفارس منذ أن قام الفرس بطرد القوات البرتغالية منها فى عام ١٦٠٢ ، ولكن الحكم الفارسى كان مجرد سيادة إسمية ، أما السلطة الفعلية فقد كانت تقوم بها القبائل العربية المحلية . وقد حاولت عمان فى عام ١٧١٧ السيطرة على البحرين ولكن احتلالها لم يدم إلا لفترة بسيطة عادت الجزر بعدها إلى حكامها المحليين . وفى عام ١٧٣٣ أصدر نادر شاه أوامره إلى حاكم بوشهر الشيخ ناصر بالنزول إلى البحرين وتمكن من بسط السيادة الفارسية عليها ، وكان مما ساعد على ذلك الانقسامات الداخلية التى تعرض لها عرب الحولة الذين استقروا فى البحرين منذ السنوات الأولى من القرن الثامن عشر .

وفى عمان حينما وجد الإمام سيف بن سلطان الثانى نفسه مواجها بأكثر من منافسين فى الإمامة اتخذ لنفسه مجموعة من الجنود المرتزقة من عناصر البلوش – وسوف يكون ذلك تقليداً متبعاً فيما بعد للقوة العسكرية فى عمان – ولكنه سرعان ما انهزم

معهم فالتجأ إلى طلب المعونة من فارس(١) . وكان نادر شاه كما سبق أن أشرنا قائداً طموحاً اختط سياسة بحرية استهدف من ورائها ضمان سيطرة فارس على مياه الخليج(٢)، ومن أجل ذلك أرسل كثيراً من الحملات العسكرية، وعلى الرغم من نجاحه في كثير من هذه الحملات إلا أنه اضطر إلى الإقرار بالأمر الواقع والاعتراف بسيطرة القبائل العربية على سواحل الخليج(٣)، كذلك حاول أن يبسط السيادة الفارسية على منطقة شط العرب وكان ذلك في خلال نزاعه مع الدولة العثمانية ، وليس من شك في أن فارس استطاعت في خلال العشرين سنة من حكمه ١٧٢٧ – ١٧٤٧ أن تؤمن ممتلكاتها وتجارتها وتضع حداً للتفوق العربي الذي كان يضطرها في مناسبات كثيرة إلى طلب المساعدات الأجنبية . وكان واضحاً أن الغرض من قبول نادر شاه التدخل في شئون عمان الداخلية هو ضم عمان إلى فارس ولذا لم يكن نادر شاه في حاجة إلى إغراء قوى من إمام عمان للاستجابة له لأنه كان يسيطر في ذلك الوقت على البحرين وبعض المناطق الواقعة على الساحل العماني، ولقد أدرك نادر شاه أن سيطرته على مسقط سوف تحقق له السيادة والتفوق الذي كان ينشده على سواحل الخليج العربي وخليج عمان(٤) .

وفي عام ١٧٣٧ قامت حملة فارسية قوامها خمسة آلاف جندي من ميناء بندر عباس وتحت قيادة لطيف خان حيث أنزلت قواتها في منطقة خورفكان ومما يذكر

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية لقضية عمان – بحث منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٢ عام ١٩٦٤ – ١٩٦٥ .

(٢) Lockhart, Nadirshah, p. 182.

(٣) Ibid.

(٤) عن النشاط الفارسي على سواحل الخليج في عهد نادر شاه يمكن الرجوع إلى وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية – تقارير الوكالات .

Cf. Gombroon Diary end – 13th Feb. 1739.

أن شركة الهند الشرقية الهولندية قدمت بعض السفن للحملة الفارسية ، ثم تقدم لطيف خان إلى رأس الخيمة حيث تقابل مع قوات الإمام سيف وتعاونت القوات الفارسية والعمانية فى إلحاق الهزيمة بيعرب بن حمير الذى كان على الرغم من قرابته لسيف إلا أنه كان متزعماً الثورة ضده(١) . واستطاع الفرس وأتباع الإمام احتلال مدن الجوف وعبرى ثم تقدمت القوات إلى مسقط، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين سيف وأعوانه الفرس عندما اتضح له أن هدف الفرس هو السيطرة وليس المعاونة خاصة بعد أن أخذ لطيف خان يتصرف فى البلاد تصرف صاحب الأمر مما أدى إلى إضعاف التحالف القائم بينهما وانتهى الأمر بتراجع لطيف خان إلى جلفار ليكون على مقربة من الأسطول الفارسى . على أن نادر شاه كان قد بيت العزم على احتلال عمان فعندما علم بذلك التراجع بادر بإرسال تقى خان لمعاونة لطيف خان وتمكن القائدان فى يناير ١٧٣٨ من تحقيق السيطرة الفارسية على سواحل عمان ، كما تقدما صوب مسقط ناجحين فى احتلالها فيما عدا قلاعها التى بقيت صامدة رغم طول الحصار(٢) .

وعندما أدرك الإمام سيف أن الأمر قد أوشك أن يخرج من يديه سارع إلى الاتفاق مع منافسه بلعرب على أن يعملا على تخليص بلادهما من الفرس وعاونتهما الظروف فى ذلك حينما دب النزاع بين تقى خان ولطيف خان وكان هذا خير فرصة انتهزها ثوار عمان فقاموا بالانقضاض على الحاميات الفارسية التى لقيت فى كل من بهلى وبركة أكبر كارثة يمكن أن تحل بجيش أجنبى(٣) ،وفى أثناء ذلك استطاع أحمد بن سعيد ١٧٤١ — ١٧٨٣ والى اليعاربة على صحار أن يصل إلى إمامة عمان وتزعم حركة التحرير العربية التى لم يقتصر فيها العمانيون على طرد القوات الفارسية من بلادهم

---

(١) Cuillain, Documents sur L'Histoire, Geographie et le commerce de L'Afrique Orientale, Tome I: p. 529· Paris 1856·

(٢) Lockhart, op. cit. p. 183.

(٣) Huart, Hestoire des Arabes Tome II p. 269.

فحسب بل أن الموجة التحررية اندفعت إلى سواحل الخليج العربى حتى وصلت إلى البحرين ، وصادف فى ذلك الوقت تأزم الأمور فى المملكة الفارسية حينما دبت الثورة فى بعض مقاطعاتها الأمر الذى دفعها إلى سرعة سحب قواتها من الخليج لتعالج بها مشكلاتها الداخلية ، وكان لهذه الأحـــداث أثرها فى انهيار السيادة الفارسية على الخليج العربى(١) .

نستخلص مما ذكرناه آنفاً أن فارس استطاعت أن تحقق سيادتها على الساحل الشرقى من الخليج العربى وخليج عمان بعد انهيار النفوذ البرتغالى فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، وفى خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر سيطرت لفترة مؤقتة على مسقط والبحرين ثم أخذت تطالب بهذه المناطق فيما بعد باعتبارها مقاطعات متكاملة معها (٢) ورغم نجاح فارس فى احراز سيادتها على بعض مناطق الخليج فى فترات مختلفة من التاريخ الا أن هذه السيادة كانت شكلية كما أنها لم تمتد إلى أية منطقة من الساحل الغربى فى العصر الحديث إلا لفترة قصيرة جداً من عهد نادر شاه بينما أمتد نفوذ القبائل العربية إلى الساحل الشرقى برمته قروناً عديدة إذ أن الثابت أن مناطق كثيرة من الساحل الشرقى ـ الذى تطل عليه إيران ـ كانت خاضعة لأسر عربية حاكمة سنشير إليها فيما بعد .

## اغتيال نادر شاه وضياع السيادة الفارسية من الخليج :

افسح اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧ الفرصة لمعاودة نشاط القوى العربية بل ووصول المد العربى إلى السواحل الشرقية من الخليج العربى (٣) ويبدو أن ازدهار القوى العربية فى الساحل الغربى للخليج أدت إلى انتعاش مقابل للقوى العربية المحلية

---

(١) Lockhart, op. cit. p. 184 .

(٢) Hay, the persian Gulf states .17.

(٣) عبد الفتاح ابراهيم : على طريق الهند ص ٤ ـ ٥

على طول السواحل الشرقية إذ تميز الساحل الشرقي بظهور أسر عربية محلية ، ويمكن تحديد ثلاث قبائل عربية كانت ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد فارس في العقد السابع من القرن الثامن عشر ، وهؤلاء هم عرب بوشهر وحاكمهم آنذاك الشيخ نصر آل مذكور وهم من عرب المطاريش العمانيين، وهي قبيلة سنية، وفي خلال حكم نارد شاه قام زعيم هذه الأسرة بالتحول إلى المذهب الشيعي على أمل أن يعينه نارد شاه قائدا للاسطول الذى اعده وجعل من بوشهر قاعدة له وكان هذا فيما هو واضح عملا انتهازياً أكسبه سخط بقية العرب في بوشهر بل كل العرب المشتغلين بالملاحة في منطقة الخليج . ثم هناك أيضاً عرب بندر ريج النازلون إلى الشمال من بوشهر وهم ينتمون إلى عرب زعاب من الساحل العماني، وكانوا يحكمون بالإضافة إلى ذلك جزيرة خرج ، كذلك ظهرت قبائل عربية أخرى في ميناء لنجة وجزيرة صيرى القريبة منه . ثم هناك عرب بنو كعب ومركزهم الدورق وبالاضافة إلى تلك القوى القبلية الثلاث كان هناك عرب الحوله النازلون على الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي من الخليج ، والمنتشرون كذلك في جزائر قسم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر الصغيرة المنتشرة في جنوب الخليج بيد أن هؤلاء لم يلعبوا دورا يذكر في الحوادث التي وقعت في أواخر القرن الثامن عشر وإنما الذي أخذ دورهم هم جماعة القواسم القاطنون في الساحل العماني (١) .

والثابت لدينا محاولة حكام عمان تقوية صلاتهم مع هذه القبائل العربية ولدينا بصدد ذلك حلف عقده الإمام احمد بن سعيد ١٧٤٤ / ١٧٨٣ مع قبائل بني كعب العربية إلى جانب حلف آخر عقده مع قبائل بني معن القاطنة على مقربة من بندر عباس ، ومما لا شك فيه أن ظهور تلك الاحلاف الجديدة بزعامة عمان كان لها أثر

---

( ١ ) أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ــ الجزء الأول ــ القسم الأول ص ١٤٤ / ١٤٥ .

كبير فى إضعاف محاولات كريم خان الزندى ١٧٥٦/١٧٧٧ فى استعادة السيطرة الفارسية على سواحل الخليج العربى(١).

وكان من الطبيعى أن يترتب على الانتعاش الذى عاشته القوى العربية فى سواحل الخليج نزاعاً مباشراً بين عمان — التى ظهرت متزعمة للتحالف العربى — وبين كريم خان الزندى خاصة بعد أن توطدت سلطته فى شيراز واستطاع أن يعيد الاستقرار بعد فترة من الفوضى دامت عشر سنوات بعد اغتيال نادر شاه. وقد ظهر النزاع بين كريم خان وإمام عمان فى بادىء الأمر على حوادث محلية ثم لم يلبث أن تطور الخلاف إلى إدعاء كريم خان بالسيادة الفارسية على مسقط استناداً إلى خضوعها تحت قبضة نادر شاه فى الفترة من ١٧٣٨ — ١٧٤٤ ، وإلى استمرار دفع حكامها الجزية السنوية لفارس حتى بعد جلاء القوات الفارسية عنها بعد اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧ . وعلى ذلك فقد طلب كريم خان من إمام عمان ضرورة دفع الضرائب السنوية المتأخرة على عمان ولكن إمام عمان رفض أن يذعن لمطالب كريم خان وجاء فى الرد الذى بعث به اليه فى عام ١٧٦٩ بأن الضرائب التى كانت تدفعها حكومة مسقط إلى فارس على عهد نادر شاه لم يكن الدافع اليها هو أحقية فارس لتلك الضرائب قدر ما كانت سياسة انتهجتها لكى تتخلص من متاعب نادر شاه، ولكن الأمر هنا يختلف قدر الاختلاف بين رجلين فالأول كان فاتح فارس كلها، والثانى لا يعدو أن يكون وكيلا على اقليمين أو ثلاثة من أقاليمها (٢) .

---

(١) لوريمر : دليل الخليج — القسم التاريخى ج ١ ص ١٧٨ / ١٧٩ .

(٢) Bombay government, Selection From the records Vol X X IV Bombay 1856, cF Historical Sketch of the Rise & progress of the Government of Muscat P. 170.

وكان من الطبيعي أن يترتب على ذلك التحدي قيام بعض المناوشات بين فارس وعمان إذ تمكن الفرس من الاستيلاء على بعض القطع العمانية مما أدى إلى ذهاب أسطول مسقط في عام ١٧٧٠ إلى بوشهر لطلب ترضية كافية، كما تزعمت عمان حلفا قاسميا إنضم إليه شيخ هرمز وأصاب جزءا من السواحل الشرقية للخليج ببعض الأضرار . وكان كريم خان وقد شغلته المنازعات الداخلية في فارس قد ترك تصريف الشئون البحرية للشيخ نصر حاكم بوشهر الذي منحه سلطة مواصلة الحرب أو عقد الصلح مع عمان . ومن ناحية أخرى فإن كريم خان انشغل في شئون عمان وصراعه معها بالصراع الذي قام بينه وبين الدولة العثمانية في عام ١٧٧٥ . وقد قام كريم خان بالفعل بفرض حصار قوي على البصرة وكان قد مهد لذلك بالسيطرة على منطقة شط العرب كما دمر الدورق عاصمة إقليم بني كعب واضطرت القبيلة إلى إظهار تأييدها لكريم خان في حملته على البصرة في عام ١٧٧٦ بعد أن عقد كريم خان تحالفا معها والنتيجة السياسية لهذا التحالف — كما يقرر أحد الباحثين — تكمن في أن فارس اعترفت اعترافا فعليا بتلك القوى العربية وسيادتها على المنطقة فمن الطبيعي أنه من المستحيل الدخول في تحالف مع طرف آخر إذا لم يكن ذلك الطرف معترفا بوجوده كقوة سياسية (١) .

وفي خلال الحصار الذي فرضه كريم خان على البصره انتهز إمام عمان تلك الفرصة فأسرع بإعداد حملة بحرية قادها بنفسه لفك الحصار وتطهير منطقة شط العرب من التغلغل الفارسي (٢) . وقد هاجمت قواته التي كانت تزيد على عشرة آلاف جندي

---

(١) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسي لإمارة عربستان ص ٤٩

(٢) Bombay Govt., op. cit. CF. The Rise & Progress of the government of Muscat. p. 172.

واثنى عشر سفينة حربية الموانع الفارسية فى نفس الوقت الذى كانت فيه مدافع سفنه تضرب أسوار المدينة وقد أشاد السلطان العثمانى مصطفى الثالث بهذه المعاونة التى قدمها العمانيون فأصدر فرمانا يقضى بدفع مساعدة مالية سنوية إلى إمام عمان وقد استمرت هذه المساعدة حتى بداية عهد سعيد بن سلطان(١) .

وفيما يبدو أن كريم خان كان يتحين الظروف اللائمة للسيطرة على عمان فحين سقطت البصرة فى يد الفرس فى عام ١٧٧٦ طلب إعداد تقرير عن إمكانية الزحف منها إلى عمان ولكن هذه الخطة لم تنفذ ، وبوفاة كريم خان فى عام ١٧٧٩ أخذت فارس تتراجع عن الصدارة والقوة بين بلدان الخليج وبعد سنوات قليلة أضحت من أكثر هذه البلدان ضعفا وأسوأها نظاما إذ قامت المنازعات بين ورثة كريم خان لارتقاء العرش وفى خلال ثمانية عشر عاما من وفاة كريم خان تولى الحكم سبعة من أفراد أسرته فقدوا كل نفوذهم الخارجى بل والداخلى أيضاً حتى أن أقاليم كثيرة من المقاطعات الإيرانية ذاتها خرجت عن سلطانهم واستمر الوضع على ذلك حتى قيام أسرة قاجار بالاضطلاع بمسئوليات الحكم فى فارس منذ عام ١٧٩٧ .(٢).

وليس من شك فى أن فترة التدهور التى عاشتها فارس ١٧٧٩/١٧٩٧ أفسحت المجال لعمان لتأكيد نفوذها على السواحل الشرقية من الخليج بل وقيام حكم عربى على أجزاء كبيرة من هذا الساحل بما فى ذلك جزره وموانئه(٣) كما انفسح المجال أيضاً للقوى

---

(١) محمود على الداود : التطور السياسى لقضية عمان ص ٢٩

(٢) لوريمر : دليل الخليج — القسم التاريخى ج ١ ص ٢٣٢ ومابعدها .

(٣) Curzon, Persia & The Persian Question VoL II p. 423.

العربية الأخرى بما فى ذلك القواسم فى الساحل العمانى وبنو كعب وغـيرهم لاستعادة نفوذهم السابق كما أن فترة الفوضى هذه كانت على درجة كبيرة من الأهمية أيضاً لأنها ساعدت فرعا من العتوب ـ وهم آل خليفة ـ للسيطرة على الزبارة ومن ثم الوثوب على البحرين لتخليصها من السيطرة الفارسية فى عام ١٧٨٣ حيث تم وضع أساس حكم عربى مستقر فى تلك الجزر .

ويمكننا أن نعالج فترة اضمحلال النفوذ الفارسى فى السنوات التى أعقبت اغتيال كريم خان حتى وصول أسرة قاجار إلى الحكم ثم استمرار إنحلال النفوذ الفارسى طيلة القرن التاسع عشر فى عدة نقاط هامة كل واحدة منها تؤكد لنا بما لا يقبل جدال قوة النفوذ العربى الذى ظهر على غاية ما يكون من التفوق ليس على سواحل الخليج الغربية فحسب وإنما على سواحله الشرقية أيضا وبالتالى أصبح الخليج بحيرة عربية تماما إلى إلى أن أخذ يتعرض للزحف الاستعمارى البريطانى منذ السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وطيلة سنوات القرن التاسع عشر وما بعدها ، ولم تعد العلاقات الفارسية العربية تمارس إلا من خلال بريطانيا . وفى أحيان كثيرة مهدت السيطرة البريطانية لفارس تأكيد سيطرتها على بعض أجزاء من الساحل الشرقى وإن كانت قد عارضتها فى مناطق أخرى على الساحل الغربى من الخليج لاسيما البحرين كما سيتضح لدينا من مناقشة النقاط التى أشرنا إليها على الوجه التالى : ـ

أولا : إنهيار نفوذ بنى كعب :

سبق أن أشرنا إلى أن بنى كعب يرجعون بأصولهم إلى نجد ولـكنهم توجهوا فى السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر على حد قول نيبور إلى أقصى بقعة تقع شمال الخليج العربى وبلغت قوتهم شأوا عظيما فى منتصف القرن الثامن عشر ولما كانت الرقعة التى ينزل فيها بنو كعب موضع تنازع العثمانيين والفرس فقد كان على شيوخ بنى كعب أن يراوغوا الطرفين للاحتفاظ باستقلالهم ، وبلغت قوتهم إلى الدرجة التى أقلقت

الدولة العثمانية وأخافت فارس(١) ولما عجزت الدولتان عن إحراز أى نصر ضدهم اتفقتا فيما بينهما على تصفية خلافات الحدود وكان ذلك فى اتفاقية أرضروم الثانيـة فى عام ١٨٤٧(٢) . حيث جاء فى المادة الثانية من هذه الإتفاقية التى اشتركت كل من إنجلترا وروسيا فى توقيعها على أن تعترف الحـكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحـكومة الفارسية التامة على مدينة المحمرة وميناءها وجزيرة خضر (عبدان) بالإضافة إلى الأراضى الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب وعلى الرغم من أن هذه المذكرة الإيضاحية لهذه المـادة حددت المناطق المعترف بتبعيتها لفارس إلا أن الحـكومة الفارسية أضافت إلى سيطرتها مناطق أخرى لم تحددها الاتفاقية(٣) .

وعلى أى حال فإن قبول شيوخ عربستان الولاء لفارس لم يحدث بشكل رسمى إلا بعد توقيع معاهدة أرضروم وكان ذلك أمرا ضروريا بعد أن تخلت عنهم الدولة العثمانية وإن كان من المؤكد لدينا أن هذا الولاء كان من الناحية الشكلية البحتة . فإن مايلاحظ على ماجاء فى المادة الثانية من معاهدة أرضروم أن هذه المادة قررت مصير شعب عربستان رغم إرادته ومن ناحية أخرى أن قبيلة بنى كعب لم تتنازل عن سيادتها على المناطق التى استقرت فيها لفارس فقبيلة بنى كعب لا تمت لفارس بأية صلة بشرية ولا يتعـدى الأمر أكثر من اتفاقهما فى اعتناق المذهب الشيعى . والجـدير بالذكر أن الادعاءات الإيرانية على عربستان قد ركزت بشكل واضح على هـــذا

---

(١) شفيق الرشيدات . عربستان ، الجزء العربى المغتصب ص٦٢ .
(٢) الداود : الخليج العربى والعلاقات الدولية ١٨٩٠ - ١٩١٤ ص٤٢/٤٣
وعن مساندة بريطانيا لفارس فى منطقة شط العرب على حساب الدولة العثمانية ،
(٣) يمكن الرجوع فى ذلك إلى وثائق الحرب العالمية الأولى :
Gooch & Temperley , British Documents on the Origins of the war VoL X Part II CF. Mallet to Hackki Pasha 26 /2/1913 Doc No 60 pp . 90 - 91 .

التشابه المذهبي إلا أنه بطبيعة الحال لا يصلح لـكي يكون إدعاءا قوياً وفيما يبدو مع ذلك أن النزعة المذهبية كان لها تأثير كبير عند عقد معاهدة أرضروم التي نصت على إلحاق المناطق الشيعية في عربستان إلى فارس في حين ضمت السليمانية وما جاورها ـ وهي مناطق سنية — الدولة العثمانية(١).

وفي خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنـــوات الأولى من القرن العشرين استطاعت بريطانيـا أن توطد نفوذها في إمارة عربستان بل أنها منحت شيوخها وعودا كثيرة بالحماية وتحقيق الاستقلال وظهر ذلك واضحا في التعهدات البريطانية التي قدمت إلى الشيخ خزعل خان ١٨٩٧ – ١٩٢٥ قبيل الحرب العالميـة الأولى وفي خلالها(٢) ولـكن بريطانيا كان من السهل عليها أن تتجاهل هـــذه التعهدات في أعقاب الحرب العالمية الأولى حينما اتجهت السياسة الإيرانية في عهد محمد رضا بهلوي اتجاها قوميا عنيفا تمثل في انتزاع منطقة عربستان وفصلهـا عن الوطن العربي والقبض على شيخها وإنهاء الحـكم العربي فيها ١٩٢٥ ومضت عمليات (التفريس) القسري تأخذ دورها في تشريد القبائل العربية وفي التعليم وفي قمع الانتفاضات العربية في عربستان والتي كانت تتزعمها بعض الأحزاب السياسية ، بالإضافة إلى جبهة تحرير عربستان التي أعدم كثير من زعمائها واضطرارها إلى التحول إلى العراق في محاولة لاستئناف نشاطها .

ثانيا : قيام وسقوط الحـكم العربي في السواحل الجنوبية الشرقية للخليج

لم تقتصر الهجرات العربية — التي نزحت من الجزيرة العربية في أوائل القرن

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تحليل الأسس المختلفة التي كانت تستند عليها إيران في إدعاءاتها على عربستان انظر : مصطفى عبد القادر ، التاريخ السياسي لعربستان ص ٧٢ وما بعدها .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ١٨٤٠ – ١٩١٤ ص ٤٠٦

الثامن عشر — على الاستقرار على السواحل الغربية للخليج فحسب وإنما عبرت قبائل عربية كثيرة مياه الخليج واستقرت على سواحله الشرقية أيضا حيث مارست هناك حكما ذاتيا وإن كانت قد اعترفت في بعض الأحيان بالسيادة الفارسية عليها . على أن السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر تحدد لنا تطورا هاما بلغته القبائل العربية القاطنة على السواحل الشرقية الجنوبية والذى تمثل في ظهور حكم عربي مستقر وقد نشأ هذا الحكم العربي المستقر نتيجة عاملين أساسيين : —

العامل الأول : ارتباط بعض جزر وموانى السواحل الجنوبية الشرقية بالحكم العربي في عمان .

والعامل الثاني : ظهور أسرات عربية مستقلة حكمت بعض جزر وموانى الساحل الشرقى .

وكان مما أفسح المجال لظهور حكم عربي مستقر حالة الانهيار التي أخذت تعانى منها فارس منذ أواخر القرن الثامن عشر . فقد نجح العمانيون في السيطرة على ميناء بندر عباس بملحقاته جوادر وشهبار ، وكان ذلك على عهد سلطان بن أحمد ١٧٩٣ — ١٨٠٤ ، التى كانت حروبه وفتوحاته في السواحل الجنوبية الشرقية من الخليج من أهم الأعمال التى قام بها فعقب وصوله إلى الحكم مباشرة قام بالاستيلاء على جوادر سنة ١٧٩٣ وعين فيها حاكما من قبله نجح بأوامر منه في السيطرة على شهبار . وفي العام التالى ١٧٩٤ قاد سلطان بن أحمد بنفسه حملة بحرية على بنى معن في جزيرتى قشم وهرمز ، وهى قبائل عربية كانت تحكم هذه المناطق بفرمان من الشاه(١) ، ولذلك ترتب على نجاح سلطان بن أحمد في حملته البحرية هذه تحول الضرائب التى كانت تدفع إيجاراً لميناء بندر عباس وما جاوره بما في ذلك ميناء ميناب وجزر قشم وهرمز وهانجام من شيوخ بنى معن إلى حاكم مسقط، ولم يكن

(١) Curzon, op. çit. VoL II p. 423.

هذا الايجار السنوى يزيد على أربعة آلاف روبية قبلت حكومة مسقط أن تدفعها إلى فارس بمثابة إيجار لهذه المناطق التى أعلنت سيطرتها عليها . والحقيقـة أن فارس لم تـكن لتسلم بطبيعة الحال بانتقال السيادة على هذه المناطق الهامة من أسرة عربية صغيرة كبنى معن إلى دولة عربية كبيرة كسلطنة مسقط، ولذلك حاولت فارس بمساعدة شيخ بوشهر أن ترد الهجوم العمانى، ولـكن شيخ بوشهر فشل فى مهمته عام ١٧٩٦ وأرغمت فارس فى العام التالى ١٧٩٧ على أن تعترف رسمياً بالإدارة العربية التى قامت فى ميناء بندر عباس بملحقاته الواقعة على ساحل مكران ، وكذلك على جزر قشم وهرمز وغيرها من الجزر والموانىء التى نجحت حكومة مسقط فى انتزاعها من قبائل بنى معن ، أو بالأحرى انتزاعها من السيادة الفارسية(١). ولم يكن الإيجار الذى قبلت حكومة مسقط دفعه إلى فارس إلا بمثابة ترضية للحكومة الفارسية إذ كانت سلطنة مسقط فى حقيقة الأمر تتصرف فى هذه المناطق التى آلت إليهـا من حيث تنظيم إدارتها وتجارتها تصرف صاحب الأمر، ويمـكن أن نؤكد ذلك استنادا على المعاهدة التى وقعها سلطان بن أحمد مع شركة الهند الشرقية البريطانيـة(٢)، وهى أولى المعاهدات التى عقدتها بريطانيا فى منطقة الخليج العربى عام ١٧٩٨، إذ نصت المادة السابعة من هذه المعاهدة على أن يسمح سلطان مسقط للانجليز بإبقاء حامية عسكرية وإنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس، ومن الثابت لدينا أن السلطان منح تلك الامتيازات للانجليز دون أن يرجع فى ذلك إلى الحـكومة الفارسية مما يؤكد أن السلطنة العربية فى مسقط أخذت تتصرف فى هذه المناطق التى آلت إليها تصرف المالك المستقل (٣) .

(١) Sykes (Percy), History of Persia Vol II p. 456

(٢) Aitchison, Collection of Treaties, Engagements & Sands relating, to India & Neighbouring Countries, Vol XII pp. 207-208 Calcuta, 1892.

(٣) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص٧٦

وإذا كان أقصى توسع حققه العرب فى السواحل الشرقية والغربية للخليج بدا واضحا فى نهاية القرن الثامن عشر، إلا أن التفوق العربى لم يلبث أن تعرض منـــذ ذلك الوقت وفى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر للتغلغل البريطانى. وكان الإنجليز فى تغلغلهم فى الخليج حريصين تماماً على موازنة القوى العربية والفارسية تحقيقاً لمصالحهم الاستعمارية، وسوف يظهر ذلك واضحا فى موقفهم من الإدارة العربية على السواحل الشرقية الجنوبية للخليج فى القرن التاسع عشر؛ وبالتالى من العلاقات العمانية الفارسية على مدى سنوات القرن التاسع عشر ، فلقد حاولت فارس عقب وفاة سلطان بن أحمد فى عام ١٨٠٤ أن تجرد سلطنة مسقط من توابعها وذلك بتشجيعها شيوخ بنى معن على استعادة بندر عباس وميناب ولـكن بدر بن سيف الذى كان قائما بالوصاية على الحـكم فى عمان انتهز فرصة قيام الحكومة البريطانية بإرسال حملة ١٨٠٥ لضرب معاقل القواسم لـكى يشترك فى هذه الحملة التى كان يقودها الـكابتن سيتون Seton(١) وقد نجح بدر فى توجيه هذه الحملة إلى الساحل الشرقى للخليج بهدف استعادة ميناء بندر عباس من شيوخ بنى معن ، كما نجح بدر بن سيف فى تخليص ميناب من الحصار الذى كان قد فرضه الفرس على هـــذا الميناء حتى أن الـكابتن سيتون كتب تقريرا إلى حكومته يقول فيه «إن السيد بدر كان يرى استعادة توابع عمان فى الساحل الشرقى من الخليج عملا أكثر أهمية من مكافحة القرصنة ومقدما عليها وأنه لو لم يكن هو نفسه موجودا لقام بدر بأعمال عدائية أكثر عنفا » ومما يذكر أن السيد بدر اعترافا منه بعون الـكابتن سيتون وأملا منه فى أن يستطيع التوفيق بين المصالح البريطانية والعمانية على السواحل الشرقية من الخليج

---

(١) عن الحملات البريطانية التى وجهت ضد القواسم يمكن الرجوع فى ذلك إلى وثائق بومباى

CF Historical Skétch of the Joasme Tribe of Arabs 1847 – 1853 p. 299 FP.

قد سمح للانجليز بإقامة وكالة فى بندر عباس ولـكن الحـكومة البريطانية ارتأت تأجيل تنفيذ ذلك بالنظر إلى ضرورة الحصول على موافقة من الحـكومة الفارسية وهذا فيما يبدو لنا يتناقض تناقضا كبيرا مع موقفها عند عقد معاهدتها مع مسقط فى عام ١٧٩٨ خاصة بعد أن زال الخطر الفرنسى الذى كان يتهددها برحيل الحملة الفرنسية عن مصر فى عام ١٨٠١ . والجدير بالذكر أن الحـكومة البريطانية أخذت تقف إلى جانب فارس فى خلال المنازعات التى قامت بين فارس وعمان حول حقوق السيادة على بندر عباس وتوابعها . ففى عام ١٨٢٣ حاولت فارس أن تجرد مسقط من سيطرتها على هذه المناطق وعلى الرغم من أن سلطان مسقط نجح فى الاحتفاظ بتبعية هذه المناطق إلا أنه اضطر إلى الموافقة فى الوقت نفسه على أن يرفع قيمة الإيجار السنوى ، وفى عام ١٨٢٦ حاول سلطان مسقط منتهزا فرصة غياب شيخ بوشهر فى رحلة الحج ، وكان يعهد إليه بالإشراف على الجزر والموانى الخاضعة للادارة العمانية، تدبير هجوم على بوشهر، وكاد يسيطر على الموقف لولا تدخل المقيم البريطانى الذى أقنعه بعدم تدمير الميناء مراعاة للصداقة القائمة بينه وبين الحـكومة البريطانية بسبب وجود المقيمية البريطانية فيه .

وعلى أثر نقل سلطان مسقط عاصمته إلى زنجبار وإقامته الدائمة فيها بعد عام ١٨٤٠ ترتب على ذلك تفكك واضح تعرضت له الأقاليم العمانية وكان من الطبيعى أن تنتهز الحـكومة الفارسية فرصة تمزق الأوضاع الداخلية فى عمان لتخليص المناطق التى كانت تتبعها على السواحل الشرقية(١) . ففى عام ١٨٥٤ قامت الحـكومة الفارسية بطرد سيف بن نبهان الذى كان ممثلا لسلطان مسقط فى بندر عباس، وقد أسرع سلطان مسقط بمغادرة زنجبار لمعالجة الأخطار التى أخذت تتعرض لها ممتلكاته على سواحل الخليج حيث وجه حملة كبيرة إلى بندر عباس جعل قيادتها لابنه ثوينى

---

(١) Hurat, Histoire des Arabes Tome II P. 277.

واستطاعت الحملة أن تسترد الأقاليم الضائعة التى سيطرت عليها فارس — ميناب وبندر عباس — ولكن ثوينى لم يستطع مع ذلك الصمود فى وجه الفرس الذين أخذوا يتزايدون فى عددهم تزايدا مستمرا فاضطر إلى التراجع إلى سفنه بعد أن فقد عدداً كبيراً من جيشه . وحينما حاول سلطان مسقط أن يستعين بحلفاء من قبائل الساحل العمانى لنجدة قواته اصطدم بمعارضة شديدة من السلطات الإنجليزية فى الخليج حينما بادر المقيم البريطانى بإصدار أوامره بمنع القيام بأعمال بحرية عسكرية تنفيذاً لشروط الهدنة البحرية الدائمة فى عام ١٨٥٣ ، كما فشل سلطان مسقط على المستوى السياسى أن يستعين بالإنجليز ضد فارس بعد أن ظهر واضحا أن الحكومة البريطانية على الرغم من صداقتها له إلا أنها تخلت عنه مراعاة لفارس التى كانت تتودد إليها فى ذلك الوقت ضد روسيا فى خلال حرب القرم ١٨٥٤ — ١٨٥٦(١) . وقد انتهت هذه الأزمة بتوقيع اتفاقية بين فارس ومسقط ـ بواسطة بريطانيا ـ فى ١٧ نوفمبر ١٨٥٦، ولم تكن شروط الاتفاقية فى مصلحة مسقط بطبيعة الحال، فقد نصت على تجديد امتياز إيجار بندر عباس وملحقاته ، بالإضافة إلى أقاليم شمايل وميناب وجزيرتى قشم وهرمز، ولكنها نصت من ناحية أخرى على تدعيم السيادة الفارسية على هذه الأقاليم بصورة لم تكن تعرف من قبل ، كما رفعت الاتفاقية قيمة الإيجار السنوى الذى كان لا يتجاوز أربعة آلاف روبية إلى أربعة عشر ألف تومان إلى جانب ترضيات أخرى بلغ مقدارها ألفى تومان . ومن المواد المقيدة التى نصت عليها الاتفاقية أيضا والتى يظهر منها تدعيم السيادة الفارسية هى عدم تصرف سلطان

---

(١) عن هذه الاتفاقية والاتفاقيات الأخرى التى عقدت بين الحكومة الفارسية وسلطنة مسقط يمكن الرجوع إلى هرتزلت فى مجموعة معاهداته .

Treaties between Great Britain and Persia and between Persia & Foreign Powers PP. 112-115 see also Hurewitz Diplomacy in the Near & Middle East Vol I. P 157.

مسقط فى المناطق التى يديرها وإذا لم توافق الحكومة الفارسية على ممثل السلطان فى هذه المناطق فعليه سحبه على الفور ، وبطبيعة الحال كانت هذه الشروط فى جملتها تعنى ضياع السيطرة العمانية من هذه المقاطعات إذ أصبح ممثل حاكم مسقط لا يعدو وأن يكون تابعا من توابع الفرس هذا بالإضافة إلى أن هذه الاتفاقية اقتصرت على السيد سعيد سلطان مسقط وأبنائه فقط ، وأن التعاقد القائم بين سلطان مسقط والحكومة الفارسية ينتهى تلقائيا بعد مرور عشرين عاما أو فى حالة قيام انقلاب فى حكومة عمان بحيث يؤدى إلى وصول حاكم لا يكون من بين أبناء السيد سعيد . وقد علق لوريمر Lorimer على هذه الاتفاقية بقوله « أنها نقلت وضع السيد سعيد فى بندر عباس من حالة المالك الذى يملك إلى حالة من يلقى العناء فى استمراره فيها وفى هذا إنقاص لقدره ولا شك »(١) .

وعلى الرغم من هذه الشروط التى كما يبدو واضحا منها أنها قللت من سلطة حكام مسقط فى ممارستهم للحكم والإدارة على الموانى الواقعة على السواحل الشرقية من الخليج فقد أعجب كثير من الرحالة الذين زاروا تلك الموانى بالإدارة العربية ووصفوها بأنها إدارة ناجحة وتفوق إلى درجة كبيرة الإدارة الفارسية السيئة وما اتصفت به من مظالم وإجحاف . وقد ذكر وليام بالجراف Palgarve الذى قام برحلاته فى الجزيرة العربية وسواحل الخليج فى عام ١٨٦٢/١٨٦٣ أن هذه الموانى نجحت تحت الإدارة العربية واستطاعت أن تجتذب إليها الكثير من المستوطنين والتجار من مختلف العناصر والأجناس بفضل سياسة التسامح والحرية الإقتصادية التى سار عليها الحكام العرب لهذه الموانى إذ انتعشت التجارة مع الهند انتعاشاً

---

(١) لوريمر — دليل الخليج — القسم التاريخى ج ٢ ص ٧١٤ وكذلك الجزء الخامس — تاريخ الساحل الإيرانى والجزر ص ٢٧٩٥ — ٢٧٩٦ .

كبيراً وازدهرت التجارة بصفة عامة بعد إعلان كل من ميناء بندر عباس ولنجه بأنهما موانىء حرة(١).

وقد ظلت إتفاقية ١٨٥٦ سارية المفعول حتى عام ١٨٦٦ حينما قامت الحكومة الفارسية بتحويل إمتياز بندر عباس وتوابعها من حكومة مسقط إلى أحد شيوخ العرب القاطنين فى بندر عباس ، وقد أقدمت على ذلك حينما تولى سالم بن ثوينى حكومة مسقط بعد اغتصابه السلطة من أبيه ثوينى ، وإن كان يلاحظ أن تحويل الإمتياز كان على أساس تبعية بندر عباس للحكومة الفارسية وليس على أساس تبعية الميناء لسلطان مسقط ، وفى الوقت نفسه ارتفعت قيمة الإيجار السنوى مرة أخرى من ستة عشر ألف تومان إلى عشرين ألفاً . وعندما تأخر الشيخ العربى عن دفع الإيجار المستحق انتهزت الحكومة الفارسية هذه الفرصة لطرده بالقوة وإستبداله بملتزم فارسى مما كان دافعاً لسلطان مسقط سالم بن ثوينى بتهديد السواحل الشرقية للخليج فى أبريل ١٨٦٨ ، ولكن السلطات البريطانية رفضت السماح له بمواصلة عملياته العسكرية، واستطاع الكولونيل بلى المقيم السياسى فى الخليج أن يتوسط فى عقد اتفاقية جديدة نصت على أن يجدد امتياز بندر عباس لمدة ثمان سنوات لمصلحة السيد سالم وأبنائه من بعده مقابل ثلاثين ألف تومان مع سريان بقية الشروط التى كانت محددة فى اتفاقية نوفمبر ١٨٥٦ التى سبق أن أشرنا إليها (٢) . على أنه حدث بعد مضى فترة قصيرة من توقيع الاتفاقية الجديدة أن

---

(١) Palgrave, Narrative of a year's Journey through Central & Eastérn Arabia VoL II P · 288 FF see also Personal Narrative P . 392 .

(٢) Curzon , op . cit . P · 424 VoL II see also Hertslet , op. cit . P . 115 FF.

أطيح بالسيد سالم من حكومة مسقط على أثر انبعاث الإمامة الإباضية فى عهـد الإمـام عزان بن قيس ١٨٦٨ — ١٨٧١ ولما كان نظام الإمامة يخالف نظام السلطنة فقد اعتبر وجود الإمامة بمثابة إنقلاب فى حكومة مسقط وبالتالى أصبحت الإتفاقية ملغاة تلقائياً(١) ، وفشل الإمام المنتخب فى أن يستعيد سيطرته على الموانى العربية على الساحل الشرقى من الخليج وكان فشله هـذا دافعاً لإتخاذ الخطوة النهائية من جانب السلطات الفارسية لطرد الممثل العمانى والسيطرة على ميناء بندر عباس بملحقاته(٢) .

والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية لم تظهر تحمساً لإستبقاء هذه التوابع تحت سلطة مسقط باستثناء مقاطعة جوادور التى أصرت على استبقاء تبعيتها لحكومة مسقط وكان ذلك لمصلحتها فى مد الخطوط البرقيـة من كراتشى إلى جوادور ، وبالتالى فقد عارضت الإدعاءات الفارسية التى استندت إلى حد كبير فى حقوق سيادتها على توسعات نادر شاه فى مقاطعات جوادور وشهبار ومكران وبلوخستان وغيرها (٣) ولم تكتف فارس بالافتيات على ملكية مسقط لهذه المناطق وإنما

(١) Sykes, op. cit. VoL II p. 423 - 424.
see also Hurewitz, op. cit Vol. I 159
and coupland, East Africa & Its Invaders P. 552

(٢) Sykes, op. cit. Vol II PP. 423 - 424
see also Hurewitz, op cit Vol I 159
and Coupland, East Africa & Its Invaders p. 552

(٣) Asiatic Quarterly Review Vol V January - April 1888 p. 413

ولمزيد من التفصيلات عن الخطوط البرقية على الساحل الشرقى للخليج يمكن الرجوع إلى :
Goldsmid, Telegraph & Travel PP. 235 - 236

سيصل بها الأمر فيما بعد إلى إثارة إدعاءات على سلطنة مسقط ذاتها مع ملاحظة أن هذه الإدعاءات لم تظهر إلا فى فترة متأخرة فى العشرينات من القرن الحالى ، ووضح النشاط الفارسى فى محاولة الحكومة الفارسية أن تعقد معاهدة مع مسقط بينما عارضت الحكومة البريطانية فى ذلك مما أدى إلى احتجاج الحكومة الفارسية وإعلانها عدم الاعتراف بجميع المعاهدات التى عقدتها بريطانيا مع إمارات الخليج باعتبارها جزءاً من الإمبراطورية الفارسية(١) . كما ظهر النشاط الفارسى فى مسقط بإصرار السلطات الفارسية على تطبيق نظام الخبر — وهو وثيقة سفر فارسية — على مسقط باعتبارها مقاطعة فارسية ، كما حاولت إرسال بعض قطع من أسطولها إلى ميناء مسقط دون إعلان مسبق ولكنها آثرت أن توقف نشاطها إزاء الموقف المتشدد الذى وقفته بريطانيا(٢) . وكانت الحكومة الفارسية ترتكز فى إدعاءاتها على مسقط على سبق احتلالها لها فى عهد نادر شاه فى خلال الفترة من ١٧٣٨ — ١٧٤٤ ويبدو أن الحكومة البريطانية كانت تدرك تماماً أن الإدعاء الفارسى على مسقط إدعاء واهن ، وأن اتجاه الحكومة الفارسية للاحتجاج لدى عصبة الأمم بمناسبة مناقشة الإدعاءات الفارسية على البحرين سيؤدى إلى أثر عكسى بل ربما يساعد على تقوية النفوذ البريطانى فى الخليج باعتباره ضرورياً لحماية حقوق الشعوب الضعيفة ، حتى أن حكومة الهند اقترحت لدى وزارة الخارجية

---

(١) R / 15 / 3 / 19 / 27 Persian Navy Activities Political Agency Muscat to Biscoe 26 th Narth, 1931

(٢) Ibid, cf Persian Navy Activities & vistis to Arab ports

Resident, Bushire to Agent, Muscat 7 th March, 1932 .

البريطانية أن تأخذ بزمام المبادرة وذلك بتحريضها سلطان مسقط على أن يعهد إليها إثارة شكواه لدى عصبة الأمم(١) .

ثالثاً : الادعاءات الإيرانية على الساحل العمانى وجزره :

لعل الازدهار الملاحى الذى عاشته القبائل العربية القاطنة على الساحل العمانى والتفوق الذى أحرزته فى فترات كثيرة من القرن الثامن عشر قد وقف حائلا دون ظهور تعديات فارسية على المنطقة وإنما على العكس من ذلك استطاعت القبائل العربية القاطنة على هذا الساحل أن تسيطر على كثير من الجزر والموانى الواقعة على السواحل الشرقية المقابلة لها .

وكانت قبيلة القواسم من أبرز القبائل العربيـــة القاطنة على الساحل العمانى ، وينبغى هنا أن ندحض ما ذهب إليه البعض من إرجاع القواسم إلى أصول فارسية بهدف إيجاد أصول تاريخية أو بشرية لمطالبة فارس بالسيطرة على الساحل العمانى فحقيقة الأمر أن القواسم قبائل عربية جاءت إلى الخليج من العراق بعد هجرتهم الأولى من أواسط الجزيرة العربية كما يستدل على ذلك من كتب ومعاجم الأنساب المعروفة ، وكان زعيم القواسم هو الشيخ قاسم الذى نصب خيمته فى نقطة تقطع على الساحل مقابل جلفار فكانت تراها جميع السفن المارة فى الخليج فأطلق البحارة على هذا المكان إسم رأس الخيمة، وبعد ذلك نشأت مدينة عربية حملت ذلك الإسم . وقد وصل القواسم الى ذروة قوتهم فى خلال الاضطرابات والقلاقل التى أعقبت اغتيال نادرشاه فى عام ١٧٤٧ إذ كان اضطراب الأمن فى بلاد فارس سببا فى استمانة بعض القادة الفرس الطامعين فى الحكم بالقبائل العربية

---

(١) F.O. 371, 13019 I.O. to F.O. 20th November, 1929

لمقاومة الملوك المتعاقبين بسرعة على عرش فارس(١) . ففي عام ١٧٥٠ عبر قسم من القواسم الخليج لمساعدة ملاعلى شاه الحاكم الفارسى فى هرمز وبندر عباس وفى مقابل ذلك فرض القواسم سيادتهم على لنجه المقابلة لقشم حيث نشأ حكم عربى استمر قائماً حتى طردت الحكومة الفارسية محمد بن خليفة وهو آخر شيخ عربى حكم لنجه فى عام ١٨٨٧(٢) ، ومن المؤكد أن شيوخ القواسم فى الساحل العمانى كانوا يقفون إلى جانب أقربائهم الشيوخ العرب المحليين فى لنجه وفى غيرها من الموانى فى المشاكل التى كانت تقوم بينهم وبين السلطات الفارسية فى الخليج وعلى أثر طرد الحكومة الفارسية للشيخ محمد بن خليفة من لنجه لجأ إلى رأس الخيمة حيث كاد ينجح فى إيجاد تحالف بين شيوخ الساحل العمانى لإعادة الهجوم على لنجه ، وقد بادرت السلطات الفارسية بابعاد الشيخ زايد حاكم أبى ظبى عن بقية شيوخ الساحل ، كما بادرت الحكومة البريطانية بتوجيه انذار إلى الشيوخ بالإمتناع عن القيام بأية أعمال هجومية على لنجه .

على أنه قد ترتب على انتهاء الحكم العربى فى لنجه ١٨٨٧ سيطرة الجمارك الفارسية على الميناء مما أدى إلى تدهور ملحوظ فى التجارة وبادر التجار العرب بتحويل نشاطهم إلى جزيرة بوموسى(٣) التى أعدت لكى تكون بمثابة سوق حرة

---

(١) Bombay government, Selection from the Records Vol XXIV
cF. Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs 1747 – 1853 .

(٢) F. O. 371, 13010 Status of the Islands of Tamb, Little Tamb, Bu Musa & Sirri B . 807

(٣) تبعد جزيرة بوموسى عن ساحل الشارقة بحوالى ٢٥ ميلا وتبعد عن الساحل الشرقى المقابل له حوالى ٤٣ ميلا وإلى الشمال الغربى من بوموسى بحوالى أربعة وعشرين ميلا تقع جزيرة طنب الصغرى تليها طنب الكبرى وتمتاز جزيرة بوموسى=

وبالتالي لكى تكون بعيدة عن تعسف الأنظمة الجمركية الفارسية وكان يحكم جزيرة بوموسى حكام من القواسم الذين كانوا يحكمون فى لنجه وبعد طرد الشيخ العربى من لنجه أصبح من حق شيخ الشارقة أن يستولى على جزيرة بوموسى. وخوفا من أن يؤدى تحول التجارة إلى بوموسى بالحكومة الفارسية أن تعلن ضم الجزيرة إليها قام شيخ الشارقة — برضاء تام من الحكومة البريطانية بل وتشجيع منها — فى عام ١٩٠٣ برفع علمه على كل من بوموسى وطنب وفى العام التالى ردت السلطات الفارسية على هذا الإجراء بخفض أعلام الشارقة وعينت فى كل جزيرة موظفاً جمركياً تابعاً لها. وعلى الرغم مما يبدو من هذه الأعمال أنها كانت من تصرف السلطات الجمركية الفارسية إلا أنه تأكد لديه فيما بعد أنها كانت بإيحاء من وزير الخارجية الفارسية بل كان من المعتقد أن الحكومة الروسية هى التى قامت بتحريض الحكومة الفارسية على القيام بذلك التصرف لأن روسيا كانت تخشى — بعد زيارة اللورد كيرزون Curzon — نائب الملك فى الهند لمنطقة الخليج (١) أن تقدم بريطانيا على إنشاء قاعدة بحرية لها فى مدخل الخليج، وعلى أثر احتجاج الحكومة البريطانية لدى الحكومة الفارسية خفضت الأعلام الفارسية فى عام ١٩٠٤(٢) بعد أن أكدت الحكومة الفارسية بأنها سترجىء إلى حين مناقشة الوضع الفعلى لهاتين الجزيرتين بينها وبين الحكومة البريطانية بوجود أى حقوق لها فى هاتين الجزيرتين فى حين تمسكت بريطانيا —

---

= بمياهها العميقة الصالحة لرسو السفن وتوافر معدن أوكسيد الحديد، كما تمتاز الجزيرة بموقعها الاستراتيجى الهام للتحكم فى رقبة الخليج من جهة مضيق هرمز.

(١) جمال زكريا قاسم: الخليج العربى ١٨٤٠ — ١٩١٤ ص ١٤٣ وما بعدها.

(٢) F. O. 371, 13010 status, of Islands of Tamb, Little Tamb, Abu Musa & Sirri B. 307.

حتى عهد قريب — بتبعية بوموسى لشيخ الشارقة ، ففى عام ١٩٠٨ حذرت الحكومة البريطانية شركة الونسكهاوس Wonkhause الألمانية بأن جزيرة بوموسى تابعة للشارقة(١) .

ومما يؤكد تبعية جزيرة بوموسى للشارقة أنه بعد أن احتلت بريطانيا الساحل العمانى فى عام ١٨١٩ وقع شيخ الشارقة المعاهدة العامة مع بريطانيا فى عام ١٨٢٠ .

وتؤكد جميع الوثائق البريطانية أن جزيرة بوموسى كانت جزءا من دولة القواسم العربية ولم يسبق لإيران أو أية دولة أخرى أن حكمتها وقد أعلنت الحكومة البريطانية رسمياً رأيها هذا فى عام ١٩٧٢ على لسان وليم لوس ممثل وزير الخارجية البريطانية فى منطقة الخليج حيث قال أن الحكومة البريطانية لم تنتصب بوموسى من إيران وتسلمها الشارقة وقت دخولها منطقة الخليج وأنه حسب الوثائق التى لدى الحكومة البريطانية فإن الجزيرة عربية . كذلك تؤكد الوثائق البريطانية خضوع جزيرة طنب لشيوخ الساحل العمانى وذلك استناداً على المكاتبات الرسمية التى أكدت فيها الحكومة البريطانية هذه التبعية والتى تبودلت فى هذا الشأن بين السير برسى كوكس المقيم البريطانى فى الخليج والشيخ صقر بن خالد حاكم الشارقة فى عام ١٩١٢ بمناسبة إنشاء منارة للبواخر البريطانية فى جزيرة طنب(٢) فى حين كانت ترتكز الإدعاءات الفارسية على هذه الجزر بأن شيوخ

---

(١) أنظر لوى بحرى : الأطماع الإيرانية فى جزيرة بوموسى بغداد ١٩٧٢ .

(٢) Treaties & Engagements in Force between the British Govt . & the Trucial chiefs of the Arab Coast Calcutta 1906 cF . Percy Cox to sheikh Saggar Bin Khalid & From chief of Shargah to percy cox Nos 8,9,10 , October 1912 .

القواسم فى لنجه الذين كانوا يحكمون فى طنب وبوموسى — قبل طردهم من الساحل الشرقى فى عام ١٨٨٧ كانوا رعية فارسية ، ووضح فى ذلك أن الإدعاءات الفارسية تتجاهل الحكم العربى الذى قام فى هـــذه الجزر منذ عام ١٧٤٧ (١) حتى قيام الحكومة الإيرانية بالعدوان على طنب الـكبرى والصغرى فى عام ١٩٧٢ بالإضافة إلى سيطرتها على بوموسى وهى فترة بلغت أكثر من مائتى وعشرين عاماً . ومن المفيد أن نشير هنا إلى توسط المبعوث البريطانى وليم لوس فى توقيع إتفاقية بين الحكومة الإيرانية وشيخ الشارقة بالنسبة لجزيرة بوموسى فى عام ١٩٧٢ . وأكد بيان حكومة الشارقة الخاص بهذه الإتفاقية أنها لا تمس سيادة شيخ الشارقة على جزيرة بوموسى رغم وجود الاحتلال الإيرانى فيها ! وأن يقتسم الدخل المتحصل عليه من استغلال الموارد الطبيعية مناصفة بين الطرفين وإلى حين إتمام عمليات الإستغلال تلتزم الحكومة الإيرانية بدفع ١½ مليون جنيه مساعدة سنوية للشارقة لمدة تسع سنوات كحد أقصى، وقد صرح الشيخ خالد حاكم الشارقة وهو الذى اغتيل فى المحاولة الانقلابية التى حدثت فى الشارقة فى فبراير ١٩٧٢،بأنه اضطر إلى توقيع هذه الاتفاقية فى الوقت الذى رفض فيه شيخ رأس الخيمة التوقيع على إتفاقية مشابهة وبالتالى تعرضت جزيرتى طنب الـكبرى والصغرى لعـــدوان إيرانى مسلح .

---

(١) F. O. 371, 18901, memo. Persian claim to Tamb & Bu Musa, 1934

ولمزيد من التفاصيل عن المباحثات الانجليزية الفارسية الخاصة بهذه الجزر انظر :

Memorandum of certain Aspects of the situation in the Persian Gulf between His Majesty's Govt. in the U.K. & the Persian Govt., 1931.

ولم يقتصر احتلال إيران لجزر طنب الكبرى والصغرى وبوموسى وإنما ينبغى أن نشير هنا إلى أنه سبق لإيران فى السنوات الأخيرة أن احتلت الكثير من الموانى والجزر العربية من ذلك جزيرة هنجام التى قامت باحتلالها عام ١٩٥٠ وكان يقوم بالحكم فيها شيوخ من بنى ياس كذلك تم لإيران احتلال جزيرة صيرى التابعة لأبوظبى فى عام ١٩٦٤ كذلك أقدمت إيران فى عام ١٩٦٨ على انتزاع ثلاث جزر كويتية هى عربى وفارسى وحارق وذلك بمقتضى مباحثات الجرف القارى التى دارت بين السعودية وإيران والكويت، وكانت هذه الجزر تستخدمها القوارب الكويتية المشتغلة بالغوص واللؤلؤ بل كان العلم الكويتى مرفوعا على هذه الجزر منذ عام ١٩٣٧(١) .

## تطور الادعاءات الإيرانية على البحرين :

لم تمارس فارس سيادتها على البحرين إلا فى خلال الفترة من جلاء القوات البرتغالية عن هذه الجزر فى عام ١٦٠٢ حتى عام ١٧٨٣ حينما استقر آل خليفة فى حكومة البحرين ووضعوا بذلك أساس حكم عربى مستقر فى هذه الجزر وحتى فى خلال سيادة فارس على البحرين فى السنوات المشار إليها كانت القبائل العربية هى التى تتولى مسئولية الحكم المباشر . وترجع سيطرة آل خليفة على البحرين وانتزاعها من السيادة الفارسية إلى فترة الفوضى التى أعقبت اغتيال كريم خان الزندى وفقدان فارس نفوذها على سواحل الخليج العربى(٢) ، وتبع استقرار آل خليفة فى حكومة البحرين ارتباطهم بمعاهدة مع بريطانيا فى عام ١٨٢٠ واشتراكهم فى توقيع معاهدات الهدنة البحرية التى وقعها كثيرون من شيوخ وحكام إمارات الخليج العربى

---

(١) F. O . 371 , 20773 Status of Islands in Persian Gulf, 1937 Farsi , Harqus & Arabi

(٢) محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربى ص ١٢٠/١٢٦ راجع كتابنا الخليج العربى ١٨٤٠ — ١٩١٤ — المقدمة ، البحرين .

على أن فارس لم تلبث أن عادت لمطالبتها بالبحرين منذ عام ١٨٢٢ ومن الطبيعى أن تصطدم بالحكومة البريطانية التى بدأت فى فرض نفـــوذها على إمارات الخليج منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر . ومما يسترعى الانتباه أن المباحثات بشأن البحرين انصرت خلال القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن الحالى على أنها مباحثات فارسية بريطانية وبالتالى انصرفت عناية كثير من الباحثين إلى دراسة هـــذا الموضوع باعتباره نزاعا فارسيا بريطانيا(١) وربما يرجع ذلك فى تقديرنا إلى عدم نضوج الوعى العربى فى هذه الفترة فضلا عن سيطرة بريطانيا على مقدرات الخليج .

وقد بدأت الإدعاءات الفارسية على البحـرين بالإستناد على معاهدة تم توقيعها بين المقيم البريطانى فى الخليج الكابتن بروس Bruce وأمير شيراز فى ٢٠ أغسطس ١٨٢٢ ، وقد حددت هذه المعاهدة فيما يتعلق بالبحرين وصفها بأنها كانت دائماً تابعة للحكومة الفارسية، وأن شيوخ آل خليفة متمردون على سلطة هذه الحكومة وفيما يبدو لدينا أن الكابتن بروس قبل هذه الشروط باعتقاد مؤداه أن عـــودة البحرين إلى سلطة الحكومة الفارسية سيؤدى إلى تحقيق الهدوء على الجانب العربى للخليج ووضع حد للأعمال البحرية الإنتقامية التى كان يقوم بها المناوئون للسلطة المتوب(٢) . على أن حكومة بومباى لم توافق بروس على هـــذه الآراء

---

(١) يمكن أن نشير هنا إلى أنه من أبرز الدراسات الخاصة بذلك هى دراسات

Feredoun Adamyiat, Bahrein Islands, Alegal and Diplomatic study of the British Iranian controversy Bahrein Islands وكذلك كتاب عباس فاروق

(٢) عن ذلك يمكن الرجوع إلى دراستنا عن رحمة بن جابر الجلاهمة حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٤/١٩٦٥ .

وأبلغت الحكومة الفارسية بأنها لن تصادق على هذه المعاهدة ، وبادرت بسحب الكابتن بروس من منصبه مؤكدة اعترافها بسيادة المتوب(١) كما أن شاه فارس بدوره لم يقر هذه الاتفاقية التى وقعها أمير شيراز دون علم منه .

وعند وصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج فى عهد محمد على عام ١٨٣٨ وصف الشيخ نفسه بأنه رعية فارسية وبناء على اقتراح منه أرسل حاكم شيراز مبعوثا ليقيم فى البحرين وإن كان وجوده لم يمنع من توقيع معاهدة بين خورشيد باشا باعتباره نائباً عن محمد على وبين شيخ البحرين فى عام ١٨٣٩ ، وبإنسحاب القوات المصرية من الخليج العربى فى عام ١٨٤٠ حاولت الحكومة الفارسية توطيد نفوذها فى البحرين ، ولكن اللورد ابردين وزير الخارجية البريطانية أعلن بأن حكومته ستقابل التدخل الفارسى بالقوة حتى ولو أدى الأمر إلى تصادم بينها وبين فارس ، وأنه ينبغى على الحكومة الفارسية أن توضح ماتدعيه من حقوق بالوسائل الديبلوماسية بدلا من استخدام القوة العسكرية لإثبات ذلك(٢) . ولدينا مذكرتان مؤرختان فى ٤ فبراير و ١٥ مارس ١٨٤٥ بعثت بهما الحكومة الفارسية إلى السفارة البريطانية فى طهران، ارتكزت المذكرة الأولى على معاهدة شيراز فى عام ١٨٢٢ وردت الحكومة البريطانية على هذه المذكرة بأنها عقدت معاهدة مع شيخ البحرين فى عام ١٨٢٠ وهى منذ ذلك التاريخ أصبح لها علاقة بالبحرين وأنها اتخذت من هذه المعاهدة أساساً لمقاومة مشروعات سلطان مسقط ومحمد على ، كما أوضحت المذكرة عدم أهمية معاهدة شيراز فى استناد فارس عليها(٣) .

---

(١) F . O . 371 , 15279 Persian claim to Bahrein Islands Foreign secretary to govt : of India . Sept .

(٢) Adamyiat, Bahrein, Astudy of Anglo _ Iranian Controversy P . 131 .

(٣) F . O . 78 , 388 Henell to the Secret Dept . of the Bombay government , 30th Augast , 1839.

أما المذكرة الثانية فقد وقعها حاجي ميرازا رئيس وزراء فارس وكان على قدر كبير من الحماسة إذ أنه لم يطالب بالبحرين فحسب وإنما طالب بجميع إمارات الخليج العربي وذكر بصـــدد ذلك « إن الشعور السائد لدى جميع الحـكومات الفارسية المتعاقبة بأن الخليج الفارسي من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزره وموانيه دون استثناء ينتمي لفارس وكما هي حقيقة واضحة أن الخليج يسمى خليج فارس كما هو ثابت في جميع المصادر الجغرافية وكتب الرحالة » وأكد ميرزا في مذكرته أن الحـكومة البريطانية اعترفت بملكية فارس للبحرين على أثر احتلال القوات المصرية للاحساء والقطيف في عام ١٨٣٩ حينما أكد القنصل البريطاني في الإسكندرية لمحمد على بأن البحرين لا تـكون جزءاً من الجزيرة العربية وإنها بذلك تابعة لفارس ولذا لن تسمح الحـكومة البريطانية لمحمد على بان يمد سيطرته عليها(١). وقد أجابت الحـكومة البريطانية على ذلك بأنها عارضت محمد على في ضم البحرين وانـكرت ما ادعته فارس من وقوفها ضد محمد على إذ أنه كان في ذلك الوقت ثمة احتمال في تحالف يزمع محمد على عقده مع شاه فارس ضد الإنجليز(٢). وبينما استمرت المجادلات النظرية على هذا النحو اتجهت الحـكومة الفارسية اتجاهاً آخر في عام ١٨٦٠ إذ انتهزت فرصة التهديدات التي تعرضت لها البحرين من قبل السعوديين بالإضافة إلى الضغوط البريطانية على شيوخها لـكي ترسل بعثة إلى البحرين برئاسة ميرزا مهدي خان الذي أكد الشيخ محمد بن خليفة حماية الحـكومة

---

(١) وثائق عابدين ( القلعة حالياً ) محافظ الحجاز ١٢٥٥ محفظة رقم ٢٦٧ - وثيقة رقم ١٣٩ أصلية و٦ حمراء من خورشيد إلى الباشمعاون الخديوى ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٩ .

(٢) Adamyiat, op. cit pp. 134-136, F. O. 371, 15279, Persian Claim to Bahrein Islands, Foreign secretary to gort of India, 1931.

الفارسية له . وترتب على ذلك أن أصدر شيخ البحرين من جانبه إعلانين الأول موجهاً إلى الشاه ، والثانى لحاكم شيراز فى ١٢و١٩ ابريل عام ١٨٦٠ على التوالى . ويتضمن هذان الإعلانان خضوع شيخ البحرين للحكومة الفارسية، أو كما صرح فى أحدهما بأنه يقوم على حكم البحرين بفضل الشاه، وأن البحرين كانت بل وستكون دائماً جزءاً من فارس، وأنه يتعهد بدفع جزية سنوية إلى الخزانة الفارسية. وبطبيعة الحال أن الكتاب الفرس يعلقون أهمية بالغة على هذه البعثة مؤكدين أنها أثبتت بما لا يقبل جدلا أحقية فارس فى ملكيتها للبحرين ،ولكن الدراسة الفاحصة تثبت أن إعلان شيخ البحرين الولاء لفارس فى ذلك الوقت لم يكن ناشئاً عن اعتراف صريح بالسيادة بقدر ما كان نتيجة ظروف طارئة تعرضت لهـا البحرين فضلا عن أن ترحيب شيخ البحرين بالبعثة الفارسية كان فيما نعتقد نكاية فى الحكومة البريطانية التى تخلت عن حمايته ضد أعدائه ومن بينهم فيصل بن تركى أمير نجد . ومما يؤكد ذلك أن فارس لم تستطع أن تحتفظ بهذا الولاء طويلا حينما بادرت بريطانيا بتوقيع معاهـدة ١٨٦١ مع شيخ البحرين والتى ظهر منها تراجعه الواضح عن قبول الولاء الفارسى .

وتميزت السنوات التالية بتدخل بريطانيا الواضح فى شئون البحرين، وكان من أبرز ذلك تدخلها فى الاضطرابات التى نشبت بين قطر والبحرين حـول ملكية الزيارة والتى تطورت إلى حرب بين البلدين انتهت بفصل قطر عن البحرين فى عام ١٨٦٨ وبادرت بريطانيا على أثر ذلك بتوقيع معاهدة أخرى مع شيخ البحرين مما كان مبعثا لاحتجاج شديد اللهجة من قبل الحكومة الفارسية التى بادر سفيرها فى لندن محسن خان بتقديم مذكرة إلى اللورد كلارندون Clarendon وزير الخارجية البريطانية اعترض فيها على التدخل البريطانى فى شئون البحرين وإجبار شيخها على عقد معاهدة مع بريطانيا باعتبار ذلك منافيا لتبعية شيخ البحرين لفارس

تلك التبعية التى أكدها بإعلان الولاء الذى سبق أن أشرنا إليه والذى أرفقه محسن خان فى مذكرته الإحتجاجية إلى وزير الخارجية البريطانية ، وقـد أجاب اللورد كلارندون على المذكرة الفارسيـة فى ٢٩ ابريل ١٨٦٩ بتصريح شهير علقت عليه الحكومة الفارسية أهمية كبيرة واتخذت منه دلالة على اعتراف بريطانيا بمطالبها على البحرين ، ولذا فقد يكون من المفيد هنا الإشارة إليه ما ذهب إليه كلارندون فى رده على المذكرة الفارسية .

أولا : أجاب كلارندون على اعتراض فارس بأحقية بريطانيا فى عقد اتفاقيات مع شيوخ البحرين بقوله :

« أود أن أؤكد لكم أن الحكومة البريطانية ترتبط بشيوخ البحرين بمعاهدات فقط من أجل منع القرصنة وتجارة الرقيق والمحافظة على أمن الخليج وأن الحكومة البريطانية يسرها أن تعفى من القيام بهذه الواجبات فيما لو استطاعت الحكومة الفارسية أن تأخذ هذه المهمة على عاتقها » .

ثانيا : أعلن كلارندون بأن الحكومة البريطانية توالى الاحتجاج الفارسى فى الوقت الحاضر أهمية خاصة بعد أن تجاهلته فى الماضى(١) .

ومع ذلك فإن مذكرة كلارندون على الرغم من تأكيـدها بأنها ستولى الاحتجاج الفارسى أهمية خاصة إلا أن المذكرة من ناحية أخرى لم تؤكد صراحة عدالة الادعاءات الفارسية (٢) وفى اعتقادنا أن السبب الذى دفع كلارندون إلى الإدلاء بتلك الآراء كان محاولة منه لتخفيف الآثار المترتبة على تدخل بريطانيا فى البحرين

---

(١) F . O , 248 / 251 / Lord Clarendon's Formula to British Posistion on the Bahrein Islands cf. Clarendon to Mohsin khan 29 April 1869.

(٢) مجيد خدورى ــ البحرين وإيران ، من منشورات صوت البحرين المدد ص ٢٩ / ٣٠ .

أو محاولة لاستمالة فارس من ناحية أخرى ومع ذلك فإن اهتمام بريطانيا بالاحتجاج الفارسي لايمكن اعتباره تسليما بصحة الادعاءات الفارسية من الوجهة الشرعية خاصة أن كلارندون حينما أولى فارس بمهمة العناية بحراسة الخليج والمحافظة على الأمن كان بشرط ألا يتعارض ذلك مع المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع شيخ البحرين وغيرهم من شيوخ الإمارات الأخرى ، وبالإضافة إلى ذلك فإن كلارندون لم يكن مخلصا فيما وعد به الحكومة الفارسية وقد ظهر ذلك واضحاً في معارضته لها في ممارسة نفوذها على البحرين بحجة ما قد يؤدي إليه ذلك من الإخلال بأمن الخليج .

والجدير بالذكر أن المجادلات الفارسية الإنجليزية بشأن البحرين قد توقفت بعد تصريح كلارندون إذ انصرفت الحكومة البريطانية لمواجهة خطر آخر كان يتمثل في تقدم الأتراك العثمانيون إلى الاحساء وقطر والبحرين كما أن توطيد علاقة بريطانيا بشيوخ البحرين عقب توقيع معاهدة ١٨٨٠ كان من شأنه فشل البعثة الفارسية الثالثة التي أرسلت إلى البحرين في عام ١٨٨٦ (١) .

ولم تظهر إدعاءات جديدة من قبـــل فارس على البحرين في خلال سنوات الحرب العالمية الأولى بسبب ظروف الحرب والأوضاع العسكرية التي فرضت على الخليج واتخاذ البحرين مركز تجميع للقوات البريطانية ، ولـكن لم تلبث الادعاءات الفارسية أن ظهرت من جديد في أعقاب الحرب وتمثلت في حملات الصحافة الفارسية ومطالبتها الحكومة والمجلس النيابي في بهارستان بضرورة المحافظة على المصالح الفارسية في البحرين حتى أن المجلس النيابي بدأ يناقش بالفعل مسألة تعيين ممثل للبحرين(٢).

---

(١) Farroughy, Bahrein Islands p. 90..

(٢) B. 415 Memo: Question of issue of persian passports or Traveling passess Illm - o - Khabar to Subjects of Bahrein.

وتؤكد الوثائق التي لدينا اتجاه بعض الفرس لزيارة البحرين والاتصال بالعناصر الفارسية وكذلك بالشيعة الذين هم من أصول فارسية. وفيما يبدو أن الحكومة الفارسية كانت متأثرة إلى حد كبير بالدعاية الشيوعية التي أخذت تستغل الوضع للتنديد بالإمبريالية البريطانية، ففي عام ١٩٢٣ أصدرت الحكومة الفارسية تعليماتها إلى قنصليتها في النجف باعتبار البحارنة الذين يزورون الأماكن المقدسة فرسا وبالتالي ينبغي تسجيلهم في القنصلية الفارسية بالنجف قبل ذهابهم إلى العتبات الفارسية المقدسة وتطلق الوثائق البريطانية على هذا التحرك من قبل الحكومة الفارسية اسم حادثة النجف(١) ورداً على ذلك بادرت الحكومة البريطانية بإعلان حمايتها على البحرين في عام ١٩٢٣ كما أصدر الشيخ حمد بن خليفة حاكم البحرين إعلانا يتضمن اعتراضه على تسجيل رعاياه في القنصليات الفارسية باعتبار ذلك خرقا لحقوقه الشرعية كحاكم، وأكد عدم إعترافه بذلك ومعاقبة كل بحراني يسجل نفسه في القنصليات الفارسية في العراق بالطرد من البحرين ومصادرة ممتلكاته (٢).

وفي عام ١٩٢٧ اتخذت الحكومة الفارسية من معاهدة جدة التي وقعتها بريطانيا مع عبد العزيز بن سعود في ذلك العام موجبا لاعتراضات شديدة إذ اعتبرت أن ماجاء في نص المادة السادسة من المعاهدة المذكورة بمثابة إنكار لسيادتها على البحرين (٣).

---

(١) F. O. 371, 17825 cf Historical Memo. on Bahrein, 1934

(٢) F. O. 371, 18942 British Agent, Bahrein to Resident 9 - 9 - 1923.

(٣) جاء في نص هذه المادة أن يتعهد الأمير عبد العزيز بن سعود بعدم المداخلة في الإمارات التي تربطها ببريطانيا معاهدات خاصة، وقد ذكرت البحرين كواحدة من هذه الإمارات.

## الادعاءات الفارسية أمام عصبة الأمم :

ولم يقتصر الأمر على مجرد تبادل المذكرات بين الحكومتين البريطانية والفارسية كما كان يحدث ذلك من قبل وإنما آثرت الحكومة الفارسية أن ترفع المشكلة إلى عصبة الأمم . وقد ارتكزت الحكومة الفارسية على الادعاءات التالية :

أولا : أنها كانت تمتلك البحرين في عصور التاريخ المختلفة وأكدت بصفة خاصة على الفترة التي أعقبت طرد البرتغاليين من البحرين حتى وصول آل خليفة إلى الحكم .

ثانياً : أنه لم يحدث لشيوخ البحرين أن كانت لهم أية صفة استقلالية وأن مثلهم كمثل الخانات المحليين في بعض المقاطعات الإيرانية الذين يتوارثون الحكم، وعلى الرغم من أنهم كانوا في بعض الأحيان يتمردون على الحكومة المركزية إلا أنهم كانوا يعودون دوما إلى الولاء لها .

ثالثاً : أن الحكومة البريطانية نفسها قد اعترفت بتبعية البحرين لفارس بمقتضى معاهدة شيراز عام ١٨٢٢ .

رابعاً : أن المراسلات المتبادلة بين اللورد كلارندون وممثل الحكومة الفارسية لدى بلاط سان جيمس ١٨٦٩ فيها اعتراف ضمني بأحقية فارس في امتلاك البحرين.

خامساً : أن الإتفاقيات المعقودة بين بريطانيا وشيوخ البحرين ليست شرعية إذ لم يحدث للحكومة الفارسية أن تنازلت عن سيادتها لأية دولة أخرى كما أنها لاتعترف بشيوخ البحرين باعتبارهم حكاما مستقلين يجوز لهم عقد هذه الاتفاقيات .

سادساً : أن شيخ البحرين تعهد في عام ١٨٦١ بالولاء لفارس وأن كثيراً من شيوخ البحرين تمسكوا بهذا الولاء في عـــدة مناسبات وكانوا يدفعون الجزية السنوية .

سابعاً : قللت الحكومة الفارسية من أهمية الناحية البشرية والجغرافية من ذلك

أن معظم سكان البحرين يتكلمون اللغة العربية وأنها منفصلة عن فارس ببحر واسع إذ ذكرت أن هـذه المسائل يمكن أن توضع موضع الاعتبار حينما تريد دولة أن تبرر مطالبها لضم أقاليم جـديدة إليها وليست المطالبة بإعادة أقاليم كانت أساساً تابعة لها .

ثامناً : تستند الحكومة الفارسية على المادة العاشرة من ميثاق عصبة الأمم بعدم شرعية الاعتداء على السيادة الإقليمية لدولة ما (١) .

وقد رد السير أوستن تشمبرلين وزير الخارجية البريطانية على هذه الإدعاءات بمذكرة هامة بعث بها إلى السفير الفارسي في لندن وإلى عصبة الأمم إرتكز فيها على النقاط التالية(٢) :

أولا : إن تاريخ البحرين كان غامضا في العصور القديمة ومع ذلك فإن هذا الغموض لا يعني سيطرة الفرس على البحرين في خـلال النزوات العربية والمغولية والتتارية وفوضى العصور الوسطى ، وفي الفترة من القرن الحادى عشر إلى القرن السادس عشر كان سكان البحرين يخضعون لشيوخ محليين وقد ذكر الإدريسي الجغرافي العربي في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي أن البحرين كان يحكمها شيخ مستقل مما يؤكد أنه قبل الغزو البرتغالي لم تكن البحرين خاضعة لفارس . وحتى الفترة من ١٦٠٢ إلى ١٧٨٣ التي تدعى فارس سيطرتها على البحرين لم تكن هذه السيطرة تمارس بشكل مطلق إذ استمرت البحرين في أيدى رؤسائها القبليين خصوصاً من عرب الحولة كما أن أئمة عمان هاجموا البحرين في سنوات ١٧١٧ و ١٧٢٠ ولم

---

(١) Cf. League of Nations Official Journal No g 658 M 219 Vol Vif, 1927.

(٢) cf. Sir A. chamberlain's Note of Feb .1929. to the Persian Minister in London F. O. 371, 17825.

تعد لفارس إلا فى عام ١٧٣٧ على عهد نادر شاه ، وبعد اغتيال نادر شاه ١٧٤٧ وقعت البحرين فى أيدى رؤساء عديدين من شيوخ بنى طاهر وبنى ماهر وشيوخ بوشهر والمسيليين وغيرهم .

ثانياً : أنه فى خلال ما يقرب من قرن ونصف من حكم آل خليفة ١٧٨٣–١٩٢٧ لم تمارس فارس سيادتها على البحرين وإنما مارس شيوخ آل خليفة استقلالهم تماما .

ثالثاً : أن تصريح كلارندون لم يشتمل على أدنى اعتراف بسيادة فارس على البحرين كما فهمت ذلك الحكومة الفارسية .

رابعاً : أن ما تستند عليه المذكرة الفارسية بالمادة العاشرة من ميثاق عصبة الأمم من أن — القاطعة التى تنتمى لدولة مستقلة لا يجوز شرعا سلخها عنها طالما أن حق الملكية لم ينتقل من هذه الدولة إلى دولة أخرى — استناداً غير صحيح إذ أن التاريخ يحتوى على أمثلة عديدة توضح أن بعض القاطعات نالت إعترافا باستقلالها من قبل دول أخرى قبل أن يصدر هذا الاعتراف من الدولة الأصلية مثال ذلك أن إسبانيا لم تعترف باستقلال البرتغال عنها إلا فى عام ١٦٦٨ مع أنها قد انفصلت عنها بالفعل فى عام ١٦٤٠ واعترفت باستقلالها دول أخرى ، كذلك اعترفت كثير من الدول باستقلال الأراضى المنخفضة قبل أن تعترف إسبانيا بذلك فى عام ١٦٤٨ .

وكانت لمواجهة بريطانيا للادعاءات الفارسية أثر فى عدم وصول عصبة الأمم إلى قرار بشأن البحرين ، كما أن بريطانيا استطاعت أن تقوى مركزها أمام عصبة الأمم(١) وقد بدأت الحكومة الفارسية تأخذ دوراً إيجابياً فى البحرين بعد فشلها

---

(١) F . O . 371 , 15353 Memo. on certain Aspects of the Situation in the persian gulf between his Majesty's, Govt. in the U%K . & The Persian Govt, 1931 .

فى المجال النظرى من ذلك محاولتها إثارة شيعة البحرين ضد الحكومة البريطانية وأسرة آل خليفة ومحاولة الحصول على شهادة من شيعة البحرين تقضى بتبعية البحرين لفارس . وينبغى أن نشير هنا إلى أن الحكومة الفارسية كانت تركز على شيعة البحرين باعتبارهم فرسا ولكن الشيعة ، كما هو معروف ، أتباع مذهب إسلامى يوجدون فى البحرين كما يوجدون فى غيرها فضلا عن أن شيعة البحرين من العرب ويختلفون عن الفرس فى العنصر واللغة ، كما حاولت فارس أيضا إثارة الفتن الطائفية بين السنة والشيعة وإن كان يلاحظ أن ذيوع فكرة القومية العربية أدت فى السنوات الأخيرة إلى وجود تماسك بين الشيعة والسنة فى البحرين كما أكد ذلك تقرير لجنة تقصى الحقائق التابعة للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٠ فقد زار علماء الشيعة والسنة معا المبعوث الدولى وأعربوا جميعاً عن موافقتهم على الاستقلال مما أكد عدم تعلق الشيعة بإيران خلافاً لما كان راسخاً فى الأذهان(١) .

وقد وضح استغلال الحكومة الفارسية للخلافات المذهبية فى عام ١٩٢٨ ففى تقرير من الوكيل البريطانى فى البحرين إلى المقيم البريطانى فى الخليج أوضح فيه شدة الدعاية الفارسية فى البحرين معتقداً أن يكون الاتحاد السوفيتى ضالع فى إثارة هذه الدعاية ضد بريطانيا فى البحرين(٢) واستناداً على ذلك اتخذت الحكومة البريطانية عدة إجراءات للحد من الهجرة الفارسية إلى البحرين من ذلك عدم الاعتراف بالخبر وأنه من الضرورى حصول الإيرانيين الذين يريدون السفر إلى البحرين على تأشيرات سفر معتمدة من أحد القناصل الإنجليز فى إيران وقد

---

(١) صلاح العقاد : معالم التغيير فى دول الخليج العربى ص ٧٠ .

(٢) Major Barrett political Agent Bahrein to the Political Resident in the persian Gulf F. O. 37I, I2998 .

احتجت الحكومة الفارسية على ذلك باعتباره يشكل تحدياً للحقوق الإيرانية في البحرين (١)، كما أخذت حكومة البحرين تتخذ إجراءات أخرى كتحريم رفع العلم الإيراني على المدارس الإيرانية وضرورة تسجيل الرعايا الإيرانيين أنفسهم في الوكالة البريطانية في البحرين باعتبارهم أجانب عن البلاد(٢).

وقد شكل النفط وامتيازاته عاملا آخر من عوامل الاحتجاجات الإيرانية إذ أكدت الحكومة الإيرانية عدم اعترافها بامتياز النفط الذى منح لشركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا باعتباره قد منح دون موافقة الحكومة الإيرانية ولذا فإنها تعتبره لا قيمة له Null & void، كما أنها تحتفظ لنفسها بالربح أو بالتعويض في حالة الخسارة . كما احتجت الحكومة الإيرانية ضد فصل مجموعة من العمال الإيرانيين من شركة النفط وتوالت الاحتجاجات الإيرانية حتى أعلنت الحكومة الإيرانية عام ١٩٥١ أن قوانين تأميم النفط تسرى على البحرين(٣).

وتحوى الوثائق البريطانية أمثلة لصور عديدة من وسائل الضغط التى كانت تتخذها الحكومة الإيرانية ضد البحارنة الذين يذهبون لزيارة العتبات المقدسة في إيران من ذلك إرغامهم على تسجيل أنفسهم باعتبارهم رعايا فرسا وتطبيق التجنيد الإجبارى عليهم كما أقدمت على مصادرة السفن البحرينية وإجبارها على التسجيل

---

(١) Question of issue of persiau Passports to Subjects of Bahren 1910 - 1928.

(٢) F. O. 371, 13719 clive to chamberlain 29 - I 1929.

(٣) F. O. 371/17825 B. Kazemi, Minister of foreign aFF airi Tehran to U. S. Minister 22/5/1932

فى الموانى الإيرانية (١) وإزاء ذلك أصدرت حكومة البحرين فى فبراير ١٩٣٧ قوانين الجنسية والملكية وتقضى هذه القوانين بإسقاط الجنسية البحرينية عن الأشخاص الذين قبلوا جنسيات أخرى كما حرم على الإيرانيين ملكية الممتلكات غير المنقولة . وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت وراء اصدار تلك القوانين إلا أنه من الملاحظ أنها كانت تتساهل بعد ذلك فى تنفيذ هذه التشريعات إحباطاً لفكرة القومية العربية بعد انتشارها فى البحرين ، وتدخلها فى إمارات الخليج الأخرى ، كما أخذت الحكومة البريطانية تعمل على إذابة العنصر العربى عن طريق فتح البحرين لهجرات من الساحل الإيرانى ، ولتشجيع النفوذ الفارسى الثقافى والاقتصادى حتى بدا أن إيران وبريطانيا يتعاونان فى هدف واحد كرد فعل للاتجاه العربى .

وكانت ظروف الحرب العالمية الثانية لها أثر فى توقف الادعاءات الإيرانية باستثناء احتجاج واحد قدمته الحكومة الايرانية ضد إيطاليا فى عام ١٩٤٠ نتيجة تعرض البحرين لقصف المدفعية الإيطالية إذ كانت إيران لا تزال محايدة حتى ذلك التاريخ (٣) وبعد الحرب العالمية الثانية عادت الاحتجاجات الإيرانية من جديد ومع ذلك فلم تتحمس الحكومة الايرانية لعرض ادعاءاتها على الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية لإعتقادها بقوة النفوذ الإنجليزى فى هاتين الهيئتين . والجدير

---

(١) Note on Results of Pesian attiiude Towards Bahrein, British Consul, Bushire 1940

(٢) Bahrein Nationality & Property laws, 1936, F. O. 371/20782.

(٣) Humaidan' Ail, Les Princes de L'or Noire P. 49 see also British Consul Bushire to Resident, Bahrein 23/10/1940 R/15/1/19/44

بالذكر أن الدعوة لضم البحرين إلى إيران اتخذت بعد الحرب العالمية الثانية طابعاً قومياً عبر عنه الشاعر الايرانى سردار نشأت الله خان (١) ، كما وضعت الخرائط الجغرافية التى تؤكد تبعية البحرين لإيران(٢) .

وقد اتخذت ايران من بعض حوادث فردية كان يقوم بها بعض البحارنة ممن تحركهم الميول الايرانية بعدة مطالب خاصة بايجاد ممثلين من البحارنة فى المجلس النيابى وقبول بحارنة للدراسة فى الجامعات الايرانية وإدخال برامج إذاعية خاصة بشأن البحرين ولكن ذلك لا يوضح فى البحرين إلا إتجاها فردياً، وعلى العكس من ذلك ظهرت القومية العربية واضحة فى البحرين خلال الحرب الفلسطينية ١٩٤٨ ومساعدة اللاجئين الفلسطينيين ثم ازدادت وضوحاً خلال وقوع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وفى أعقابها ولم تجد ايران إلا أن تعلن فى عام ١٩٥٧ اعتبار البحرين جزءاً من الأقاليم الايرانية باسم الاقليم الرابع عشر ويذكر بيربي بصدد ذلك أن إيران التى رأت عاصفة العروبة تجتاح أقطار العرب حاولت أن تسبق الحوادث فأعلنت ضمها جزر البحرين إلى ممتلكاتها خوفاً من أن يطالب العرب — ولا سيما العراق — بالمحمرة وغيرها من المناطق العربية الداخلة تحت حكم الشاه .

على أن التحول فى السياسة الايرانية بدا واضحاً منـــذ عام ١٩٦٩ بالنسبة للبحرين حينما أعلن الشاه قبوله لحق تقرير المصير فى البحرين وفيما يبدو أن الدافع وراء ذلك أن الحكومة الايرانية وجدت أنه من الأفضل ترك السلطة بيد آل خليفة تدعيماً للانظمة الحاكمة فى المنطقة أو من المحتمل كما يرى البعض أن تكون بريطانيا قد اتفقت مع ايران على أن تترك لها فرصة احتلال الجزر الثلاثة

---

(١) Extract From Surushi Newspaper 28, 1, 1946 R/15/1/44

(٢) persian Claim on Bahrein, Residen cy, Bushire to His Majesty's Ambassador 8th june, 1947'

بوموسى وطنب الكبرى والصغرى فى مقابل التخلى عن المطالبة بالبحرين . وفى عام ١٩٧٠ عرضت مشكلة البحرين على الأمم المتحدة التى استقر رأيها على تكوين لجنة لتقصى الحقائق وقد أوضحت اللجنة فى تقريرها مطالبة سكان البحرين بتحقيق الاستقلال الذى تم إعلانه بالفعل فى ١٣ أغسطس ١٩٧١ ولعل وصول البحرين إلى تحقيق استقلالها جعلها أقل إلحاحا فى الانضمام إلى اتحاد الإمارات العربية إذا كان ذلك الانضمام لا يهيىء لها ما تستحقه من مركز قيادى فى الدولة الاتحادية .

وأخيرا نود أن نختتم هذه الدراسة بالتأكيد هنا أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور عدة دول مستقلة فى الخليج العربى ، ولكن وجود دول مستقلة ناشئة فى الخليج لا يعنى تخلص المنطقة من رواسب الاستعمار القديم أو مؤثرات الاستعمار الجديد؛ بالاضافة إلى احتمال تجدد الأطماع الايرانية ، والأمر يتطلب إذن ايجاد المناخ الصالح لتدعيم استقلال دول الخليج العربى بتكاتف الدول العربية فيما بينها لسد أى ثغرة قد ينفذ منها الاستعمار وهــذا لن يتأتى إلا بالتعاون المثمر فى جميع المجالات السياسية والفنيه والاقتصادية بين الدول العربية والدول الناشئة فى الخليج العربى .